وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية

قسم: التاريخ

الحياة العلمية في المغرب الأقصى خلال العهد السعدي الأول 1578-1603م

مذكرة مقدمة لنيل متطلبات شهادة ماستر في تخصص: تاريخ المغرب العربي الحديث

إعداد الطالبة: إشراف الدكتور:

- نادية نواري حني محفوظ

أمام لجنة المناقشة:

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
1	نواصر نصيرة	أستاذ التعليم العالي	جامعة غرداية	رئيسا
2	حني محفوظ	أستاذ التعليم العالي	جامعة غرداية	مشرفا ومقررا
3	بوسعدة محمد	أستاذ التعليم العالي	جامعة غرداية	ممتحنا

السنة الجامعية: 1446هـ/ 2024-2025 م

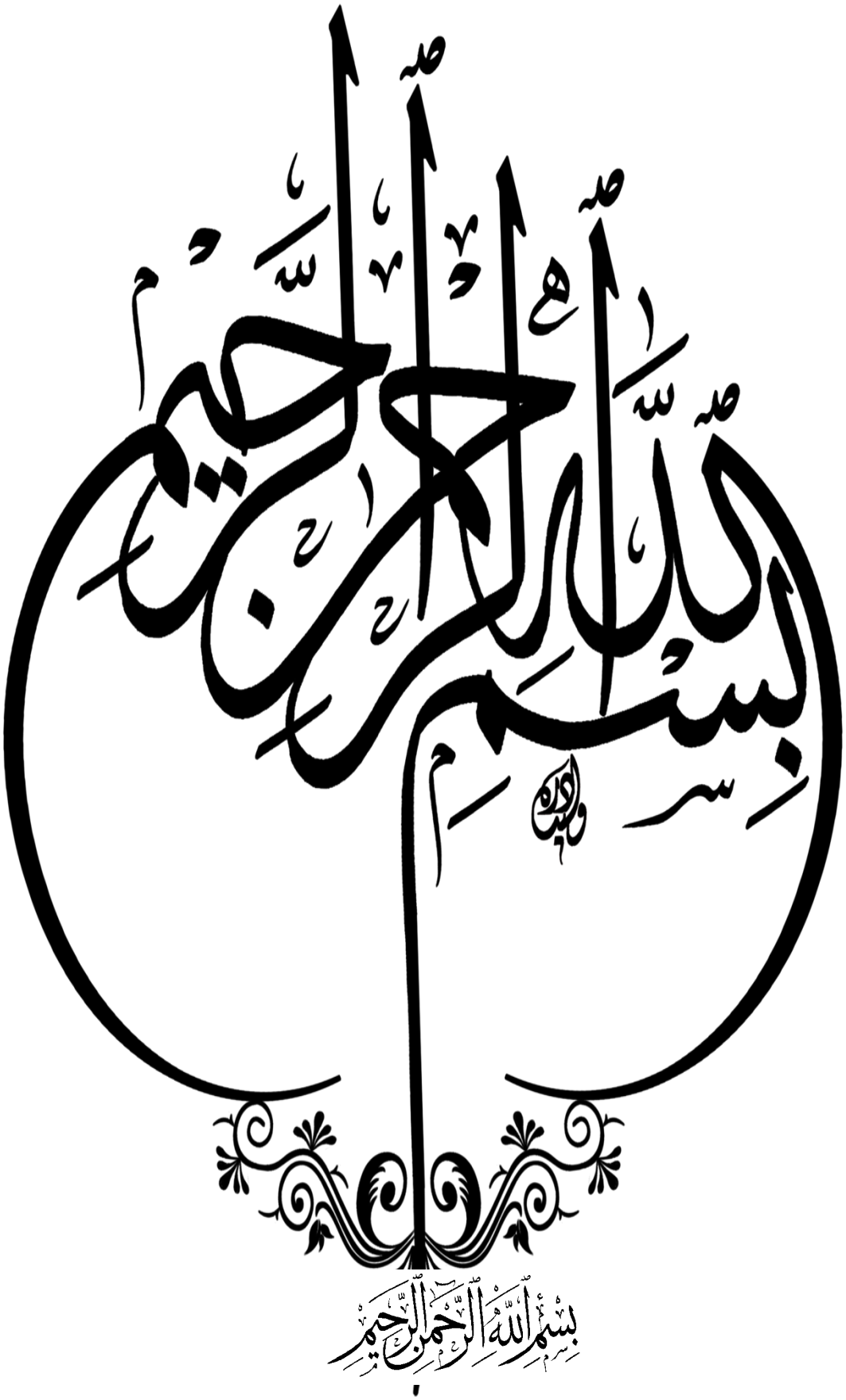

بسم الله الرحمن الرحيم

اهداء

الحمد لله الذي بلغني شرف هذا العلم وأعانني على إكماله .ما كنت لأفعل لولا أنك يا رب شددتَ عزمي، ومكنتني، وكنتَ لي العون، وفتحتَ لي وعلَي .الحمد لله قولًا وفعلًا، وشكرًا ورضا.

إلى من علّمتني أن العطاء ليس له حدود، ونوّرت لي طريق حياتي

إلى أمي حبيبتي

إلى سندي في هذه الحياة ومصدر أماني، من استنرت بقوته في كل خطوة من دربي الدراسي

الى ابي الغالي

إلى إخوتي، نجومٍ مطرّزة في ثوب السماء

الحمد لله الذي يسر البدء وجمل الختام وما كنت سأصل لهذا الا بفصل الله

ناديـــة

الشكر والعرفان

" ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾. صورة النمل آية 19

نشكر المولـــى عز وجل ونحمده على توفيقنا في إنجاز هذا العمل.

كما نتوجه بالشكر الجزيل إلى أستاذنا المشرف "حني محفوظ"، الذي قام بمرافقتنا وتوجيهنا خلال إنجاز هذا العمل، فلم يبخل علينا يوما بنصائحه وتوجيهاته العلمية التي لا تقدر بثمن، والدي ساهم بشكل كبير في إتمام هذا العمل.

كما نتوجه بالشكر الكامل لأعضاء اللجنة ، وإلى من ساعدنا من زملاء وأساتذة، من كل قريب أو بعيد.

مقدمـــة

أولًا: التعريف بالموضوع

يعدّ العهد السعدي من أبرز الحقب التاريخية في المغرب، ليس فقط بسبب الإنجازات العسكرية التي شهدها المغرب، وعلى رأسها معركة وادي المخازن سنة 1578، ولكن أيضًا لما شهدته البلاد من تحولات عميقة على المستويات السياسية، الدينية، والثقافية. وإذا كانت الدراسات التاريخية قد أولت اهتمامًا واسعًا للجوانب السياسية والعسكرية للدولة السعدية، فإن الجانب العلمي والفكري، لا سيما خلال المرحلة الممتدة من 1578إلى 1603، لا يزال في حاجة إلى المزيد من البحث. هذا الجانب يُعدّ مرآة تعكس بنية الدولة، وطبيعة العلاقة بين السلطة والمعرفة، ويُبرز كيف شهدت هذه الفترة، التي يمكن وصفها بمرحلة "الاستقرار المؤقت" بعد تجاوز الصدمة السياسية التي خلفها مقتل السلطان عبد الملك السعدي (1578م) وانتصار السعديين في معركة وادي المخازن، انتعاشًا نسبيًا في الحياة الثقافية والعلمية. فعادت مراكز التعليم التقليدي إلى نشاطها، وازدهرت حلقات الدرس في القرويين بمراكش وفاس، وانتشرت التآليف في الفقه والحديث واللغة والتصوف، كما برزت أسماء علمية وازنة في مجالات متعددة. غير أن هذا الازدهار لم يكن بمنأى عن توجيه الدولة وتدخلها، وهو ما يثير سؤال العلاقة بين الدولة والعلم، بين خدمة المعرفة وخدمة السلطة.

ثانيًا: طرح الإشكالية

ينطلق هذا البحث من إشكالية رئيسية مفادها :ما هي ملامح الحياة العلمية في المغرب خلال العهد السعدي الأول (1578-1603)؟

ويتفرع عن هذه الإشكالية الأسئلة التالية:

1. ما هي أبرز المؤسسات التعليمية والعلمية التي نشطت خلال هذه الفترة؟
2. من هم أهم العلماء الذين ساهموا في الحياة الفكرية خلال العهد السعدي؟
3. كيف تفاعلت الدولة السعدية مع النخب العلمية، وما طبيعة علاقتها بها؟

ثالثًا: أسباب اختيار الموضوع

انتقلت لاختيار هذا الموضوع لعدة أسباب جوهرية، أبرزها:

- أهمية فترة الدراسة: أدت المعركة الفاصلة في وادي المخازن إلى تحول مفصلي وازدهار شامل للدولة السعدية، مما مهّد الطريق لنهضة ثقافية وعلمية بارزة، وهو ما دفعني لاختيار البحث في جانب الحياة العلمية خلال هذا العهد.
- الدراسات التاريخية: الرغبة في دراسة العصر الذي بدأ فيه نشوء الدولة السعدية في المغرب الأقصى.
- الميول الشخصي: ميلي إلى هذا النوع من الدراسات التاريخية التي تختص بتاريخ المغرب الأقصى.

- الاهتمام البحثي: الرغبة الكبيرة للبحث في هذا الموضوع التي تولدت عن قراءات أولية حوله.

رابعًا: حدود الدراسة

- الإطار الزماني :تركز الدراسة على الفترة الممتدة من 1578إلى 1603م . اخترت هذا التاريخ لأنه يمثل أهم فترة في ظهور السعديين على الساحة وتوطيد حكمهم بعد معركة وادي المخازن.

- الإطار المكاني :يغطي البحث المغرب الأقصى، بصفته مركزًا للدولة السعدية وموطنًا لحواضرها العلمية.

- إبراز الأهمية :أهدف إلى إبراز أهمية المرحلة السعدية في تطور الحياة الفكرية المغربية، وملء الفراغ الذي تعرفه بعض الدراسات التي تركز على الجوانب العسكرية والسياسية دون غيرها.

- رصد العلاقة :أسعى لرصد العلاقة الجدلية بين السلطة والعلماء، ومدى انعكاسها على بنية الإنتاج الفكري آنذاك.

- تشجيع البحث :تهدف هذه الدراسة إلى إبراز غنى التراث المغربي في هذه الفترة، وتشجيع الباحثين على مواصلة البحث في تاريخ الفكر والمؤسسات العلمية.

خامسًا: تقسيمات البحث

لتحقيق أهداف البحث والإجابة عن إشكاليته، قسّمت الدراسة إلى ثلاثة فصول مترابطة:

- الفصل الأول :يستعرض السياق السياسي العام الذي ظهر فيه السعديون، من خلال التطرق إلى أوضاع المغرب قبيل قيام دولتهم، أصلهم، ظروف صعودهم، ثم تحليل علاقتهم بالسودان الغربي وما ترتب عنها من تفاعلات ثقافية.
- الفصل الثاني :يركز على المؤسسات التعليمية والعلمية، كالمساجد، الزوايا، والمدارس، ومراحل التعليم، والحواضر العلمية، مع إبراز مظاهر الحياة العلمية في عهد المنصور الذهبي.
- الفصل الثالث :يسلط الضوء على أبرز الشخصيات العلمية التي أثرت المشهد الفكري والثقافي، سواء من العلماء أو الأدباء أو حتى الحكام الذين دعموا العلم، وعلى رأسهم السلطان أحمد المنصور الذهبي.

سادسًا: المنهج المتبع

اعتمدت هذه الدراسة على المنهج التاريخي التحليلي، وذلك من خلال تتبع تطور الحياة العلمية في سياقها الزمني، وربطها بالظروف السياسية والاجتماعية المحيطة بها. كما تم توظيف المنهج المقارن للمقارنة بين المرحلة السعدية وما سبقها من

عصور، إضافة إلى المنهج النقدي لتحليل المواقف المتعددة في المصادر وإخضاعها للتمحيص لضمان دقة المعلومة وموثوقيتها.

سابعًا: نقد المصادر والمراجع المعتمدة

لإنجاز هذه الدراسة، اعتمدتُ على مجموعة من المصادر والمراجع الأساسية التي تُعدّ حجر الزاوية في فهم الحياة العلمية خلال العهد السعدي. شملت هذه البيبليوغرافيا:

- المصادر التاريخية الأولية :وهي الكتب التي كُتبت في العهد السعدي أو قريباً منه، وتوفر معلومات مباشرة عن الأحداث والشخصيات العلمية. من أبرزها كتب التاريخ العام كـ "الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى" للناصري، وكتب التراجم والطبقات مثل "نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي" للغزال، والتي قدمت تفاصيل قيّمة عن العلماء ونشاطهم الفكري. وقد تعاملتُ مع هذه المصادر بمنهج نقدي لتمييز الروايات التاريخية الموثوقة عن تلك التي قد تكون متأثرة بآراء شخصية أو تحيزات عصرها.
- المراجع الحديثة والمعاصرة :وتشمل الدراسات الأكاديمية المتخصصة حول تاريخ المغرب السعدي، والحياة الفكرية والثقافية فيه. هذه المراجع قدمت تحليلات معمقة ووجهات نظر مختلفة ساعدت في فهم أعمق للسياقات التاريخية والعلمية، وقد تم اختيارها بناءً على مدى دقتها ومنهجيتها العلمية.

ثامنًا: صعوبات البحث

واجهتني في إعداد هذه الدراسة عدة صعوبات، أبرزها:

- قلة المصادر الأولية المباشرة التي توثق تفاصيل الحياة العلمية بشكل دقيق وشامل خلال هذه المرحلة، مما تطلب جهدًا مضاعفًا في البحث والتحليل.
- تشتت المادة العلمية بين مصادر فقهية، وتاريخية، وجغرافية، وكتب تراجم، مما تطلب جهدًا كبيرًا في التمحيص والجمع والتحقيق لربط أجزاء المعلومة المتباعدة.
- قلة الدراسات الحديثة التي تغوص في التفاصيل الدقيقة للحياة الفكرية خارج إطار الدراسات العامة للتاريخ السعدي، مما جعل عملية استخلاص البيانات وتصنيفها أكثر تحديًا.

تاسعاً: الدراسات السابقة

استندت هذه الدراسة إلى عدد من الأعمال الأكاديمية والعلمية المهمة التي تناولت الجوانب الفكرية للعهد السعدي، والتي شكلت إطارًا مرجعيًا أساسيًا لي، ومن أبرزها:

- أطروحة دكتوراه موسومة بـ" الحياة الثقافية والفكرية في المغرب خلال العصر السعدي"، للباحث :محمد الزكراوي، مناقَشة بتاريخ: 12/06/2015، جامعة محمد الخامس – الرباط.

- مقال علمي موسوم بـ" دور الدولة السعدية في رعاية العلماء والمؤسسات العلمية"، نشر بتاريخ: 01/03/2019، للباحث :عبد الله العسري، في مجلة المغرب الأقصى للدراسات التاريخية.

الفصل الأول

الوضع السياسي في مغرب الأقصى قبل وخلال العهد السعدي الأول 1578-1603م

مقدمة الفصل:

1- الوضع السياسي للمغرب الأقصى قبل العهد السعدي

2- أصل السعديين وموطنهم

3- ظروف قيام الدولة السعدية

4- قيام الدولة السعدية

4-1 المغرب الأقصى في عهد أحمد المنصور

4-2 عوامل الضعف وسقوط الدولة السعدية

5-علاقة السعديون بالسودان الغربي وأثرها الثقافي

خاتمة الفصل

مقدمة الفصل:

تميّز العهد السعدي الأول، لاسيما خلال حكم السلطان أحمد المنصور الذهبي (1578–1603م)، بمرحلة من الاستقرار السياسي والازدهار الحضاري، جاءت بعد انتصار المغرب في معركة وادي المخازن سنة 1578م، والتي عزّزت مكانة الدولة السعدية إقليميًا ودوليًا. وقد مثّل هذا الظرف فرصة لبناء دولة مركزية قوية ذات توجه توسعي، سواء من خلال حملات الجنوب نحو السودان، أو عبر الموازنة الدبلوماسية بين القوى الكبرى آنذاك كالدولة العثمانية وإسبانيا.

وفي هذا السياق، لم تكن الحياة العلمية معزولة عن المشروع السياسي، بل كانت جزءًا من أدوات تثبيت الحكم، حيث اهتم المنصور بتشجيع العلماء، وتنشيط الحركة العلمية في فاس ومراكش، واحتضان المؤرخين والفقهاء داخل البلاط، ما ساهم في إحياء وظيفة العلم في خدمة الدولة والمجتمع معًا.

1- الوضع السياسي للمغرب الأقصى قبيل العهد السعدي:

كان للموقع الاستراتيجي للمغرب الاقصى وامتداده على طول شواطئ البحر المتوسط شمالا واطلاله على المحيط الاطلسي غربا وكثرة موارده وخيراته هي التي اغرت القوى الاجنبية وأطعمتها في السيطرة عليه [1] حيث كانت ظروف هذه البلاد العامة في احوال سيئة وكان لضعف السلطة في فاس وعجزها عن صيانة الامن والدفاع عن البلاد اثر كبير في انتشار الفوضى والفتن مما ادى الى تجزئة المغرب الى وحدات سياسية شبه مستقلة ,بإضافة الى التمزق والتجزئة التي وصلت لها البلاد مما ساعد على تزايد الفتن الداخلية وشجع في نفس الوقت الاعداء على تمادي في عمليات الاحتلال والتفكير في السيطرة الشاملة على مجموع المغرب [2]

وكان وراء هذه الحملات الصليبية عدة عوامل، يأتي في طليعتها العامل الديني من أجل تحويل سكان المغرب الإسلامي إلى المسيحية، ولعل الذي يؤكد ذلك رسائل فرديناند من أجل الحصول على الدعم، حيث تضمنت: "بأنه يكافح من أجل خدمة الإله وبحمية في اتجاه ديننا المقدس، وأنه يهاجم أعداء العقيدة الكاثوليكية المقدسة [3]

---

[1] الحسناوي محمود عاشور عبيد ، **موقف الدولة السعدية من مسلمي الاندلس بعد سقوط غرناطة 106_1659/916_1510** ، مجلس كلية الادب _جامعة ذي وقار وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستر في التاريخ الاسلامي ص (16).

[2] كريم عبد الكريم, **كتاب المغرب في عهد الدولة السعدية**، ط3، 2006، ص (18/16/13).

[3] صالح بوسليم ,زينب جعني , **الواقع السياسي للمغرب الأقصى خلال العصر السعدي الأول 1509-1603 مجلة روافد** والدارسات ، مخبر للبحث في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة غرداية، المجلد 07، العدد 02، 2022، ص ص(127-128).

إضافة إلى عوامل أخرى، منها ملاحقة الأندلسيين، خاصة بعد تلقيهم الدعم من المغرب؛ إذ صاروا يشنون الهجمات المتكررة على سفن وشواطئ شبه الجزيرة الإيبيرية. والسيطرة على المناطق الاستراتيجية بالتحكم في الحوض الغربي للبحر المتوسط ومدخله المتصل بالمحيط الأطلسي عبر مضيق جبل طارق، والإبحار

نحو العالم الجديد، وكذا بتحكمها في موانئ بلاد المغارب، من أجل إزاحة الوسطاء التجاريين، والتحكم في التجارة الإفريقية القادمة عبر الصحراء، المتجهة إلى أوربا عبر هذه الموانئ.

وقد تمكن الاسبان في مطلع القرن العاشر الهجري / السادس ميلادي من احتلال بلدة غساسة في سنة 910ه /1504م ومدينة طيلة 1497 على المتوسط.[1]

اما البرتغاليون فقد تمكنوا من احتلال اغادير في سنة 611 ه/1505م واسفي في سنة 914 ه/1508م وازمورة 916ه/15013م وأمام هذا الوضع الذي حل بالمغرب الأقصى ، وفي ظل العجز السياسي عن مجابهة الوضع الجديد المتمثل في احتلال أغلب سواحله، وتهديد البقية بحملات عنيفة، بمهادنة الإسبان وتقديم الولاء لهم ،16فلم يكن أمام سكان المغرب الأقصى سوى الاستنجاد بالأشراف السعديين.[2]

[1] عمار بن خروف، مذكرة لنيل درجة الماجستر في التاريخ , **العلاقات بين الجزائر والمغرب 963-1069ه/1517-1659م** ص68.

[2] بوسليم , جعني , المرجع السابق, نفس الصفحة.

2- أصل السعديين و موطنهم:

حكمت الدولة السعدية المغرب الأقصى لعدة عقود، وقد تعددت الروايات حول أصل نسبها. فقد أورد المقري في نفح الطيب أنهم من بني سعد بن بكر بن هوازن، وهم القبيلة التي تنتمي إليها حليمة السعدية مرضعة النبي ﷺ. بينما أشار اليفرني إلى أن لقب "السعديين" إنما أُطلق عليهم تيمّنًا بنجاح دولتهم وازدهارها. أما الناصري في الاستقصا، فقد ذهب إلى أنهم من نسل النفس الزكية، وبالتالي فإنهم أبناء عم للعلويين، إذ يجتمعون في النسب عند محمد بن القاسم بن محمد. وقد دعم هذا الرأي السلطان العلوي محمد بن عبد الله، كما ورد في الترجمان المعرب للزياني.[1]

وقد إستقدمهم من ينبوع النخل بالحجاز أهل درعة بالجنوب المغربي تبركا بيهم[2] حيث أن أهل درعة كانت لاتصلح تمارهم وتعتريها العاهات كثيراً، فقيل لهم : لو أتيتم بشريف إلى بلادكم كما أتي أهل سجلماسة لصحلت تماركم كما صلحت تمارهم[3]

وأكسب هذا النسب السعدين مكانة مرموقة داخل اوساط الشعبوبية وساعدهم في

---

[1] ابراهيم حركات، **المغرب عبر التاريخ عرض لأحداث المغرب وتطوراته في الميادين السياسية والدينية والاجتماعية والعمرانية والفكرية منذ ما قبل الإسلام إلى العصر الحاضر ق 14هـ/20م، المجلد الثاني من بداية المرنيين إلى نهاية السعديين** (الدار البيضاء: دار الرشاد الحديثة، دون تاريخ)، ص ص(272-274).

[2] عثمان عثمان اسماعيل ، **العمارة الاسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الاقصى** ، ج5 عصر الاشراف السعدين والعلوين ص45.

[3] الناصري احمد ، **الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى** ، دار الكتاب،ج5،(دون تاريخ)، ص4.

ارساء مكانة لهم. هناك من يشكك في نسبهم ويزعمون انهم فرع من قبيلة مرضعة الرسول صلى الله عليه وسلم حلمية السعدية في ذلك الوقت اعطيت للأشراف مكان عالية وغالبا مايعتمد عليهم في حل القضايا باعتبارهم من ذرية الرسول صلى الله عليه وسلم ، ليس هذا فقط الأمر الذي اذى الى ظهور الأسرى المذكورة سالفا هو الجهاد في سبيل الله ضد النصارى[1]

قامت الدولة السعدية على أساسين مهمين، أساس ديني في أنهم أشراف وبالتالي فهم أحق بحكم المغرب من بني وطاس، الذين فشلوا من الناحية السياسية في إدارة البلاد. ولجأ السعديون إلى إقناع الناس بشرف نسبهم، حتى يؤكدوا أن لقيام دولتهم أساساً دينياً وأنهم ليسوا مجرد مغتصبين للسلطة. وأما الأساس السياسي الذي قامت عليه الدولة، فإنها جاءت كاستجابة لفشل الوطاسيين في الرد على الاعتداءات الأجنبية، وعجزها عن تنظيم المقاومة ضد الاحتلال البرتغالي والإسباني، لذلك عرض السعديون أنفسهم كقوة قادرة على مواجهة هذا التحدي[2].

3- ظروف قيام الدولة السعدية :

كان المغرب يعيش أزمة شديدة في مطلع القرن العاشر الهجري السادس عشر ميلادي ، حيث الغزو الخارجي مستفحل والتجزؤ الداخلي الى السلطة حاكمة قادرة على توحيد شتات المغرب وأجزائه وعلى توحيد صفوف المغاربة في وجه الخطر

[1] محمد العربي، **زبيري ,مدخل الى تاريخ المغرب العربي الحديث**، ص21.

[2] حركات, المرجع السابق، ص272.

الخارجي وكانت تلك السلطة سلطة السعدين ، الذين يرون أنهم أحق بالملك من بني وكاس الذين فشلو كليا في ضم المغرب في وحدة سياسية متماسكة.

كان من الضروري توحيد صف المقاومة الشعبية التي تصدى لها على الخصوص الصلحاء و المتصوفة. و لم يكن بين شخصيات المغرب أحسن مقاما من الأشراف الذين كانت لهم في نفوس المغاربة مكانة عظيمة فكانوا في نظرا الكثير من العامة أحق الناس بتولي الملك[1].

السعديون أشراف فهم يرون أنهم أحق بالملك من بني وطاس الذين فشلوا كليا في ضم المغرب في وحدة سياسية متماسكة، و هكذا لجأوا إلى إقناع الناس بشرف نسبهم حتى يبرزوا أن لقيام دولتهم أساسا دينيا و أنهم ليسوا مجرد مغتصبين خلفوا مغتصبين[2].

"تفاقم الخطر الأجنبي على البلاد إلى درجة لم تعد فيها جهود المقاومة الشعبية مجدية ما لم تتبنَّها دولة منظمة تضع لها جهازًا محكمًا وتتولى تنسيقها وتوجيهها."

يرى المستشرق الفرنسي جاك بيرك 1910– 1995م أن الدولة السعدية لم تقم على أساس ديني أو على تضامن قبلي، بل فرضت سلطتها على الزوايا. فإن كان ظهورها في إطار حركة احتجاج ديني، وسجلت أولى انتصاراها على المعتدي المسيحي بقيادة الأمير أبو العباس أحمد الأعرج 1517– 1544م، فإن ما أعقب ذلك من تحديث للجيش وبناء للعلاقات الدبلوماسية والتجارية مع الأجنبي يوضح أن الدولة

[1] خروف،المرجع السابق، ص 69.

[2] حركات، المرجع السابق، ص273.

الدنيوية كانت تتقوى، حتى وإن حمل لواءها الشرفاء. إذن لا يمكن تفسير صعود دولة السعديين بناء على النسب الشريف والمقدس، لأن فترة صعودهم شهدت أيضا انمحاء دولة لشرفاء حقيقيين مثل الأدارسة. إن ما مكن للدولة السعدية هو الحمية الحربية والأصالة الجنوبية التي تميزت بها في فتراتها الأولى. لكن حتى وإن سلمنا أن النجاح السعدي في بناء دولة قوية لم يستعن كثيرا بالمقدس، فإنها أي الدولة السعدية بادرت إلى خلق سياسة دينية، حيث قامت بتنمية مواسم المولد النبوي، ودعم الحركات الصوفية الموالية لها من أجل صناعة رأي عام مساند[1].

4- قيام الدولة السعدية:

قامت الدولة السعدية بعد ضعف دولة بني مرين و بني وطاس الذين حكموا المغرب أكثر من ثلاثة مائة سنة. وبالرغم من تأييد الشعب الأشراف الجدد الذين تصدوا للدفاع عن البلاد وتطهيرها من النصارى لم يكتب لهم الأمر أكثر من مائة وخمسين سنة إلا ملك واحد؛ وهو أبو العباس أحمد المنصور الذي نهض بأعبائه أحسن نهوض. فبعد إستسلام السلطة الوطاسية وتواطؤ مع المحتل البرتغالي الذي شدد الحصار على المنطقة، أصبحت الظروف ملائمة لأن ينجز الأشراف السعديون مشروعهم الذي إتخذ من الجهاد قواما ومن السلطة هدفا. و لقد كان السبب في قيام هذه الدولة أوائل القرن الخامس عشر ميلادي أنهم أخذوا يكثرون من حملاتهم على

[1] عادل المساتي، **سوسيولوجيا الدولة بالمغرب إسهام جاك بيرك**، تقديم، أحمد بوجداد، الرباط: سلسلة المعرفة الاجتماعية السياسية،2010، ص ص(35-36).

سواحل المغرب وفي الشمال وفي الغرب على المحيط الأطلسي، واستولوا على كثير من الموانئ الغربية خلال هذه الفترة. و كانوا كلما إستولوا على ميناء إزداد غضب الشعب إضطرابا لمقاومة البرتغاليين وإخراجهم من أرض الوطن، وآلم الشعب دائما أن لا يجد عند الوطاسيين قوة يستطيعون بها إنقاذ البلاد فقد وصلت الدولة الوطاسية إلى درجة من الضعف بحيث أصبحت عاجزة عن رد الأعداء. وأخيرا عثروا على بغيتهم في شخص من أصل شريف ويعتبر تاريخ 19أفريل 1510يوم ميلاد دولة الأشراف السعديين التي أخذت على عاتقها مهمة ضرب السلطة الوطاسية، وتوحيد البلاد تحت سلطة واحدة قصد تحرير المناطق المحتلة من طرف الكفار[1].

لقد قامت الدولة السعدية في الجنوب حاملة شعار توحيد البلاد وتحرير المناطق المحتلة، فوجدت بذلك قبولا وإستحسانا وتجاوبت معها فئات كبيرة من الشعب المغربي، وقد ظهرت دولة السعديين على يد أبي عبد الله محمد القائم بأمر الله 1509- 1517م في بلاد سوس التي اجتمعت قبائلها واتفقت على بيعته مستبشرين بنسبه. وعندما تمت له البيعة لقب بالقائم بأمر الله و نهض توا لجهاد البرتغاليين و نودي به سلطانا في منطقة سوس 951هـ /1510م وإتخذ من قرية تيدسي قرب تارودانت أول عاصمة للدولة السعدية، وقد إستخدمت الأشراف السعديون لرفع لواء

[1] سعيدة شرع، عائشة معروفي، شريفة رمضاني، **الحياة الثقافية في المغرب الأقصى خلال عهد السعديين القرنيين 15-16م**، ماستر في التاريخ،كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة عمار ثليجي الأغواط، قسم العلوم الانسانية، الجزائر:الأغواط، 2015-2016، ص ص8-9.

الجهاد الديني و السياسي وصد الغزو منذ نشأة الدولة إلى تاريخ آخر ملوكها العباس بن محمد الشيخ الأصغر 1069هـ/1659م [1].

4-1 المغرب الأقصى في عهد أحمد المنصور:

استمر حكم السعديين قوياً موجوداً على جزء كبير من مساحة المغرب الأقصى الحالي في فترة امتدت من سنة 1658-1510م، وتعتبر الفترة التي حكم فيها أحمد المنصور الذهبي من أزهى فترات الدولة السعدية؛ كان مشهوراً بحزمه وتتبعه لأخبار الرعية، وقد أسس مجلسا للشورى كان يجتمع كل يوم اربعاء، وكان يسميه الديوان، وهو أول من لبس المنصورية ثم تبعه في ذلك الفقهاء والعلماء. يقول صاحب كتاب الاستقصاء إنه لقب بالذهبي، بعد أن سيطر على مناطق عديدة من افريقيا الغربية، وأصبحت تدفع له الضريبة ذهباً من بلاد النوبة إلى المحيط الأطلسي[2].

لقد عرف المغرب في عهد السلطان أحمد المنصور الذهبي استقرارا وازدهارا في السياسة الداخلية والخارجية على حد سواء إذ كان من نتائج معركة وادي المخازن الشهيرة عام 986هـ/1578م والانتصار على البرتغاليين أن صار للمغرب شهرة كبيرة وضعت حدا للأطماع الخارجية، وعززت هيبة السلطة السعدية، وأخذت الدول

[1] نفس المرجع ، ص9.

[2] شوقي عطاالله الجمل، **المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا – تونس – الجزائر – المغرب)**، القاهرة: مكتبة الأنجلو مصرية،1977، ص189.

الأجنبية تخطب ود العاهل المغربي، وتتقرب إليه بالسفارات والهدايا، مما أتاح للسعديين فرصة الإهتمام بتوسيع نفوذهم الذي امتد إلى حدود بلاد السودان جنوبا[1].

وباحتلال المنصور للسودان تدفقت على المغرب سيول من الذهب والرقيق ساهمت في تنشيط الحركة الاقتصادية، نعم الرخاء وساد جو من الاستقرار والأمن داخل البلاد، لكن هذه الوضعية سرعان ما تبددت بعد وفاة المنصور 1603هـ/ 1012م، فدخلت الدولة في فترة ضعف، وبدأت الأزمات السياسية تعصف بها، ودخل المغرب فترة حالكة ظهرت فيه الفتن والاضطرابات بسبب تنازع أبناء المنصور على عرش الدولة[2].

بعد وفاة السلطان زيدان بعد فترة حكم دامت زهاء ربع قرن 1603هـ/1627م، وهي فترة مضطربة تخللتها فتن وفوضى واضطرابات كانت سببا في ضعف السلطة المركزية، وبالتالي ساهمت في تعطيل كل الجهود التي كان ينبغي أن تصرف في البناء الداخلي وفي مواجهة الأطماع الخارجية وتحرير الثغور المحتلة، وبويع ابنه عبد الملك غير أن إخوته أحمد والوليد ثارا عليه، مما أدى إلى حدوث نزاع مسلح انتهى بانتصار عبد المالك الذي استقر بمراكش[3].

أما أحمد بن زيدان فقد فر إلى ابن عمه محمد ، فغدر به وقتله، واستولى على القصبة، ففي أواخر سنة 1037هـ1627م ثار عليه قائد جيش القصبة فأودعه

---

[1] مؤرخ مجهول، **تاريخ الدولة السعدية التكمدراتية**، تح: عبد الرحيم بحادة، مراكش: دار تينمل للطباعة والنشر، ط1، 1994،ص62.

[2] الناصري، أحمد، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، دار الكتاب، الجزء الخامس، ص (11-13).

[3] عبد العزيز بنعبد الله، **دراسات في تاريخ المغرب والأندلس**، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1979، ص. 177.

السجن بفاس، إلا أنه فر منها سنة 1044هـ/1634م فحاول أن يسترجع نفوذه بفاس فلم يتم له أمر ذلك إلى أن أغتيل سنة 1051هـ1641م.

وأما الوليد فقد حاول أن يستولي على الحكم لكنه فشل، ونفي إلى أن أعيد مرة أخرى إلى مراكش لكنه في هذه المرة عمل على استمالة العلوج، فأوعز إليهم بقتل أخيه عبد الملك فتم له ذلك سنة 1040-1630م.

لما قتل عبد الملك بويع أخاه الوليد بن زيدان 1040هـ/1630م، وخوفا من تكرار الأحداث نفسها أي ما وقع بين أعمامه من العنف بعد وفاة والدهم زيدان، عمد الوليد إلى الفتك بإخوته وأبناء عمومته ولم يبقي من الأمراء إلا أخاه محمد الشيخ الأصغر منه سنا، إذ كان حينذاك لا يتجاوز إلا إحدى عشر سنة، فحبسه بإحدى غرف القصر وعزم على الفتك به إلا أنه أغتيل قبل أن يتم له ذلك.[1]

بعد وفاة الوليد بن زيدان 1045هـ/1635م تم إخراج محمد الشيخ الأصغر من السجن فبايعه أهل مراكش في 15رمضان 1045هـ الموافق لـ 22فيفري 1636م، وكان محمود السيرة متواضعا متورعا عن سفك الدماء محبا للخير، ورغم طول فترة حكمه فإن سلطته لم تتجاوز مراكش وأعمالها، ففي عهده قوي نفوذ الزاوية الدلائية، ودخل معها في صراع انتهى بانهزامه سنة 1048هـ1638م. وفي عهده أيضا بدأ العلويون دعايتهم السياسية، وقد توفي محمد الشيخ الأصغر سنة 1064هـ/1653م، بعد فترة حكم كانت الدولة السعدية خلالها تلفظ أنفاسها الأخيرة[2].

[1] الناصري، المرجع السابق، ص ص.(22-26).

[2] الطاهري، محمد، **المغرب في عهد السعديين**، مركز الدراسات التاريخية، تطوان، 2001، ص ص.(203-207).

4-2 عوامل ضعف وسقوط الدولة السعدية:

بعد فترة أحمد المنصور لم تحظ الدولة السعدية بحاكم قوي مهاب الجانب، وبدأت تدب فيها عوامل الضعف والسقوط، ويمكن تلخيص هذه العوامل في خمسة نقاط:

-مشاكل العرش: أهم مشكلتين تعرض لهما العرش هما مشكلة الوراثة التي أحدثها المتوكل 1574- 1576م قبل أن تقف الدولة على قدميها، ومشكلة تولية المنصور الذهبي لأحد أسوء أبنائه سيرة للعرش بعده، مما أدخل البلاد في حرب أطرافها من الأسرة المالكة إلى غاية سقوط الدولة.

-تشكيل الجيش: اعتمد الملوك السعديين على تشكيل الجيش من عناصر أجنبية وحتى مسيحية، والتي كانت موجودة بكثرة، حتى إن القيادة كانت في الغالب في يد الأتراك أو المرتزقة المسيحيين، أما العناصر الوطنية فقد كانت مستبعدة تماما [1].

-التدخل الأجنبي: لعب هذا العامل في البداية دور المحفز لقيام وتقوية الدولة، حيث نشأت الأخيرة كرد فعل على التدخلات الكثيرة التي عانى منها المغرب الأقصى، لكن مع ضعف الدولة السعدية وتوالي الحروب ضدها من الإسبان والبرتغاليين من الشمال، والأتراك العثمانيون المستقرين في الجزائر من الشرق، تهاوت السلطة السعدية ولم يسمح لها بالتحرك في سياستها الداخلية بحرية، إذ كثيراً ما تدخل الأتراك في خلع ملك وتنصيب آخر[2].

[1] حركات، المرجع السابق، ص ص(335-336).

[2] الجمل، المرجع السابق، ص ص(172-180).

– الحركات الاستقلالية: عبر كامل مراحل الدولة السعدية كانت حركات التمرد وعدم الخضوع لسلطان الدولة تظهر هنا وهناك، لكن زاد من قوة هذه الحركات الخلافات الناشبة داخل الأسرة الحاكمة، وضعف بعض الملوك وتهتك أخلاقهم. إن تزعم الصوفيين للحركات الاستقلالية في كثير من الأحيان ما هو إلا رد داخلي على موقف الملوك من الخطر المسيحي وسوء أخلاقهم، رغم أنهم قادة الأمة دينياً وسياسياً. إن بروز الحركة العياشية أو الدلائيين أو ثورة ابن أبي محلى أو أبي حسون السملالي، لم يكن الهدف منها الاستيلاء على السلطة والرئاسة. لكن الهدف الأسمى لهذه الحركات كان أداء واجبها الديني الذي كان آنذاك إما الجهاد ضد النصارى الأوروبيين، وإما العمل على لم شمل المسلمين وتوجيههم الوجهة الروحية والأخلاقية الصحيحة، فقد أرادت بعض الحركات والطرق الصوفية أن تتزعم المشهد في المغرب هذا بلا شك.[1]

–السياسة المالية: تكاد تكون سنة في الكون، أن الدولة عندما تضعف تثقل كاهل الشعب بالضرائب، وتكون هذه الأخيرة دليل على بداية النهاية للدولة. بعدما أثقل الأمراء السعديون كاهل الشعب بالضرائب خاصة مدينة فاس التي كانت ثروة أهلها تغري هؤلاء الملوك. وبسبب هذه السياسية المعتمدة بالأساس على الجباية، فإن رعية هذه الدولة كانوا يمدون أيديهم إلى كل طامح للسلطة يمكن أن يخلصهم من السياسة التي ألزمهم بها الملوك السعديين.

[1] شوقي ضيف، **عصر الدول والإمارات: الجزائر – المغرب الأقصى– موريتانيا – السودان** القاهرة: دار المعارف، 1995، ص ص(294–295).

رغم انحلال الدولة السعدية واندثارها فإنها ساعدت على ترسيخ فكرة السلطة المركزية لفترة من الفترات في المغرب الأقصى، وهو الأمر الذي سيساعد العلويين فيما بعد من أجل بسط نفوذهم على كل تركة الدولة السعدية. والأمر الآخر الذي يستخلص من تاريخ الدولة السعدية هو أن الفكرة الدينية كانت دائما هي المحرك الرئيسي والذي له صيت وصدى بين الجماهير في المغرب. وتبجيلهم للشرفاء، أو أصحاب النسب النبوي ما هو إلا تأكيداً للروح الدينية القوية، ولذلك عندما تقترن هذه الروح الدينية مع النسب الشريف ومع البداوة والأصالة الجنوبية، تنجح تلك العائلات في بناء دول قوية، الأمر الذي تكرر في المغرب العربي بصفة عامة، والمغرب الأقصى بصفة خاصة لعدة مرات عبر التاريخ منذ بداية القرن الثاني للهجرة.[1]

بعد وفاة السلطان المنصور الذهبي بادر أعيان مدينة فاس لمبايعة ابنه زيدان، وكان زيدان أحق إخوته، وأجدرهم بولاية عهده "...وقالوا إن المنصور خلفه في حياته ومات في حجره"[2]. فبايعته أهل فاس في ربيع الأول من سنة 1012هـ1603م، وكتب أهل فاس لأهل مراكش بمبايعته لزيدان، ولكنهم امتنعوا ، وبايعوا أخاه أبا فارس على أساس أن المنصور كان قد عينه واليا على مراكش، ولأن الخاصة من حاشية المنصور كانوا يميلون إليه[3]، وفي هذه الأثناء كان ولي العهد السابق محمد

[1] حركات، المرجع السابق، ص337.

[2] محمد حجي، **الحياة السياسية في المغرب في عهد الدولة السعدية**، منشورات كلية الآداب بالرباط، 1982، ص. 215.

[3] الناصري، المرجع السابق، ص ص(14-15).

الشيخ المأمون قد نقل من سجن مكناس إلى سجن مراكش ليكون تحت مراقبة شقيقه أبا فارس.

ولم يتمكن أبناء المنصور الثلاثة من التوافق إذ وبعد موت والدهم أخذوا يتنازعون حول الحكم، إذ بويع زيدان لفاس وأبو فارس بمراكش وأخذ الإخوة في التحالف والتآمر على بعضهم البعض فاغتيل أبو فارس سنة 1019هـ 1610م وتمكن محمد الشيخ المأمون من الاستيلاء على فاس بمعونة الإسبان، واستبقى مولاي زيدان مراكش[1]، وإقليمها لنفسه بعد عناء كبير، وهكذا أصبح المغرب الأقصى في مطلع القرن السابع عشر ميلادي مقسما إلى مملكتين فسادت الفوضى وطمح أعداؤه فيه، وبينما كانت دولة السعديين تحتضر، تمادت إسبانيا في اعتداءاتها على الثغور المغربية منتهزة المحنة التي يمر بها المغرب فبسطت نفوذها على المعمورة عام 1023هـ/1614م، وطنجة وسبتة ومليلية وغيرها من الثغور[2].

5-علاقة السعديون بالسودان الغربي وأثرها الثقافي:

شهدت العلاقة بين السعديين والسودان الغربي، خاصة بعد حملة المنصور الذهبي على تمبكتو سنة 1591م، بُعدًا يتجاوز الطموح العسكري إلى التأثير الثقافي والديني. فقد ساهمت هذه العلاقة في نشر المذهب المالكي، واللغة العربية، والعلماء المغاربة في المنطقة، مما رسخ حضورًا ثقافيًا مغربيًا بارزًا في عمق إفريقيا.

[1] ابن زيدان، عبد الرحمن، **الإتحاف أعلام الناس بتاريخ المغرب**، المطبعة الملكية، الرباط، الجزء 2، ص. 97.

[2] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ المغرب العربي الحديث**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990، ص. 148.

5-1-أثرها على بلاد المغرب:[1]

أدت حملة المنصور الذهبي على بلاد السودان في احداث اثر كبير عاد بالنفع حيث استفادت الحركة الثقافية بالمغرب من ذلك كما تمكن علماؤها ومنهم امثال النموذج محمد بابا التنبكتي من استغلال فرصة وجوده القهري بمراكش للنهل من خزائن الكتب المغربية، التي وجد بها ضالته من العلم ووجد بها مالم يجده في خزائن كتب مدينة تنبكت حيث اقام مجالسه بمساجد مراكش للتدريس إلى جانب العلماء المغاربة، وكانت فترة مهمة حافلة بمختلف التأليف في شتى العلوم الادبية والشرعية بعد ان وسع ثقافته ما وجده من امهات الكتب والمخطوطات، خاصة مكتبة احمد المنصور.[2]

ولقد ساهم اولئك المهاجرون في الحركة العلمية بالمغرب فاخذو واعطوا، والفوا في كثير من الاغراض، ولكن أهم مادة امتاز بها نشاطهم العلمي هو التراجم، ذلك لانهم وجدوا من المصادر حول اعلام الاسلام ما لم يكن متوفرا لهم في بلادهم فأعانهم ذلك على اغناء المكتبة المغربية والسودانية بالجديد والطريف في هذا الميدان، وكانت المؤلفات السودانية التي وضعت بمراكش تنسخ ويتهافت التجار على شرائها لبعيها في السودان.

وقد حظيت المجالات المختلفة بالاهتمام الكبير من قبل الحكام الذين أولو جل اهتماماتهم لكل النشاطات العلمية والفكرية والثقافية[3].كما لقي التعليم بنوع من التنظيم

[1] العيمي، عبد الهادي، **تاريخ التعليم والثقافة بالمغرب**، الجزء 6، 1994، ص. 231.

[2] السعدي، محمد، التعليم في المغرب السعدي، 1989، ص. 48.

[3] العيمي، عبد الرحمن، المرجع نفسه، ج6، 1994، ص231.

والعناية لم يكن يعرفهما من قبل، ولم تعد المدارس وقفا على ابناء العلماء انفسهم وعلى عدد قليل من الطلبة، بل أصبح التعليم بجميع أطواره مفتوحا امام كل راغب في تحصيله والجلوس له، وتكفلت الادارة المغربية بأماكن التعليم ورجاله وبالطلبة الغرباء[1] القادمين من بلاد السودان جنوب الصحراء وفيما يخص النظم التعليمية فقد اصبح هناك تعليم ابتدائي ومتوسط ومتخصص واعطيت اول اجازات علمية في بداية العهد المغربي وكذا ظهور مناخ واغراض فكرية متنوعة بعد ان انحصر العمل العلمي في السابق في الناحية الدينية واللغوية والمنطق.

فقد ظهر مؤرخون سودانيون ندين لهم بكل الفضل في اغلب ما نعرفه اليوم من خلال ما ألفوه عن تاريخ السودان مثل تاريخ السودان وتاريخ الفتاش وتذكرة النسيان، وبرز كتاب التراجم وعلى راسهم احمد بابا، ومؤلفون في الاصول والتفسير الغربي،[2]فالبنسبة لأحمد بابا التومبكتي خلال اقامته بمراكش ترك للخزينة المغربية عددا من المؤلفات والكتب التي جاءت ثمرة اجتهاده ومن هذه الكتب نيل الابتهاج بتطريز الديباج، وهو في تراجم فقهاء المالكية الفه في مراكش سنة 1005 واللالي السندسية في الفضائل السنوسية الف في 1004 مراكش، وغيرها من الكتب في مختلف المواضيع والخزانة المغربية غنية بالمخطوطات التي تركها هذا العالم السوداني ومما ميز هاته الفترة ظهور عدد من العلماء عرفوا بما تركوه من اثار وبما

[1] السعدي، المرجع السابق، 1981، ص217.

[2] أحمد بابا التمبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، 1005هـ.

طبعوا به المدرسة السودانية في هذا الميدان نذكر : محمد بن محمود بن أبي بكر الوتكري التنبوكني ومحمد بابا بن محمد الامين بن حبيب ابو عبد الله السعدي[1].

5-2-أثرها على بلاد السودان:

لقد رأينا سابقا بان حملة احمد الذهبي كان لها أثر عميق حيث استفادت حواضر المغرب من مجمل الحوادث العلمية والعلماء بصفة يقينية، فنفس الأمر ينطبق على حواضر السودان حيث توارد على بلاد السودان عشرات العلماء من المغرب، وبدأت المراكز العلمية في أكثر من مدينة سودانية تعلن عن نفسها وعن المستقبل الذي ينتظر الثقافة العربية،[2] حيث كانت هناك فترات مد وجزر في ذلك التدخل او هذا التاثير، فقد رأينا بعض ملوك السودان ينكل بعلماء الدين ويطاردهم في الصحاري ويقتلهم، كما راينا البعض الآخر منهم كالاسكيا الحاج محمد يتشبه بالحكام المسلمين في عصره ويقدم للعلماء العناية والتكريم والتقديس فكانت الحركة العلمية تندفع إلى اهدافها في نقل المعرفة وتكريس الثقافة العربية، وكان يبرز من بين رجالها، الفقهاء والادباء والشعراء وحتى المشعوذون والمتنبؤون. أما فيما يخص المراكز الثقافية في ذلك الوقت كانت قد حققت نجاحا مهما في ربط الفكر الديني العربي بالحضارات الأفريقية، وسار ذلك الربط في نطاق التاثير المتبادل دون حدوث نكسات أو أي مظهر للرفض من طرف الافارقة.[3]

---

[1] الغرب، عبد الله، **الحركة العلمية في السودان وتأثير المغرب عليها**، (د.ط)، الجزء 1، ص. 526.

[2] العربي، المرجع السابق ، ص510.

[3] حسن، عبد الله، **التأثير المغربي في السودان**، 1963، ص. 10-11.

ولقد كان من أثر ذلك بروز الحضارة السودانية الفكرية على النسق المغربي ولكنها لم تتجاوز نطاق المدن الكبرى الواقعة على نهر النيجر، ولم تتاثر قضية التبادل الثقافي عبر الصحراء بما كان يجري من تحولات سياسية في السودان والمغرب معا، فقد الغيت مالي كإمبراطوريه، واستلم قادة وزعماء من السونغاي مقاليد السلطة ثم حول أحد أولئك القواد البلاد إلى مملكة ونصب نفسه اسكيا عليها وهو الحاج محمد، وقد توارد على بلاد السودان عشرات العلماء من المغرب الغربي[1]، وكان الطلاب يقبلون على الدراسة بشغف مما ساعد على انتشار المدارس.[2]

وقد استقبلت جامعة القرويين العشرات ايضا ممن لمع اسمهم في مختلف الفنون، وبارك الاساكي الحركة العلمية والثقافية العربية وشجعوها واحترموا العلماء والفقهاء، واسقطوا عنهم وظائف للسلطنة وغراماتها ومنعوا عنهم ظلم الحكام بحيث كان للاسكيا وحده حق النظر في اية شكوى ضد عالم او فقيه، اعتقد اهل السودان الولاية في العلماء ونسبوا لهم الكرامات وكانوا يقيمون الأضرحة لمن مات منهم ويتقدمون بالذبائح إلى تلك المقامات، وفيما يخص اهم رجالات العلم الذين برزو في هذه الفترة نذكر منهم، محمد بن عبد الكريم المغيلي، صالح بن محمد اندي عمر المعروف بالشيخ العمري عبد الله بن احمد بن سعيد، محمود بن عمر بن محمد اقيت، عبد الله بن عمر بن محمد اقبت الغربي.[3] ومما سبق يمكن القول بأن الحملة المغربية على بلاد السودان والتي قادها العاهل السعدي احمد المنصور الذهبي، قد اتت اكلها

[1] الغرب، المرجع السابق، ص513.

[2] عصمت، محمد، **التبادل الثقافي عبر الصحراء الكبرى**، ص 168.

[3] الغرب، المرجع السابق، نفس الصفحة.

وذلك من خلال وضعها حد للمستعمرات المسيحية والدولة العثمانية بشكل اساسي ففي حقيقة الأمر نستطيع القول بان السلطان احمد حقق نجاحا باهرا وكسب لواء ما يسمى سليل الدوحة النبوية التي كان يريد الوصول اليها، بالإضافة إلى كونها تركت بصمات واضحة في شتى المجالات الحياتية في بلاد السودان والتي يظهر بأنها حظيت بمجمل الاستثمارات ولاسيما النشاطات العلمية والفكرية والثقافية ما ساعد على تحقيق مراكز ثقافية هامة عما كانت عليه، لذا فقد كسبت هاته الحملة و حققت صدى كبير من انتقال العلماء السودانيين والكتب إلى بلاد المغرب وقد ظهرت ابداعاتهم في التأليف.[1]

خاتمة الفصل:

تعدّ المرحلة الممتدة من سنة 1578 إلى سنة 1603م، والتي توافق فترة حكم السلطان أحمد المنصور الذهبي، من أبرز مراحل الازدهار السياسي والدبلوماسي التي عرفتها الدولة السعدية. فقد تمكن السلطان من إرساء دعائم سلطة مركزية قوية، وتوسيع المجال الترابي للدولة باتجاه الجنوب، مما مكّن المغرب من تعزيز حضوره في الفضاء الإفريقي، لا سيما في السودان الغربي. كما شهدت هذه الحقبة نشاطًا دبلوماسيًا مكثفًا مع عدد من القوى الدولية الكبرى كإسبانيا، وإنجلترا، والدولة العثمانية، ما يعكس المكانة الاستراتيجية التي حازها المغرب في السياق الجيوسياسي الإقليمي والدولي.

[1] عصمت، المرجع السابق، ص516.

غير أن هذا الوهج لم يستمر طويلًا، إذ شكّلت وفاة المنصور لحظة فاصلة في تاريخ الدولة، حيث دخلت البلاد في دوامة من الانقسامات والصراعات بين ورثته، الأمر الذي عجّل بتراجع الهيبة السياسية ومظاهر الاستقرار. وعليه، فإن عهد أحمد المنصور يمثل ذروة القوة السعدية، لكنه في الآن ذاته يمثّل بداية منحنى الانحدار الذي ستشهده الدولة في العقود اللاحقة.

الفصل الثاني

المؤسسات الثقافية والعلمية

مقدمة الفصل:

1-المؤسسات التعلمية في العهد السعدي الأول.

2-مراحل التعليم

3-الحواضر العلمية

4-أثر الحياة العلمية

خاتمة الفصل:

مقدمة الفصل:

شهد المغرب خلال العهد السعدي الأول، خاصة بعد معركة وادي المخازن سنة 1578م، تحولات عميقة على المستويات السياسية والاجتماعية والثقافية. وقد عزز هذا الانتصار من شرعية الدولة السعدية داخليًا وخارجيًا، مما دفعها إلى توظيف التعليم كأداة لترسيخ سلطتها السياسية والدينية، وتعزيز المذهب المالكي السني، ومواجهة التيارات الفكرية والدينية المنافسة، لا سيما الزوايا المستقلة وبعض التوجهات المرتبطة بالدولة العثمانية شرقًا.

لذلك أولت الدولة السعدية، خصوصاً في عهد السلطان أحمد المنصور الذهبي، اهتماماً كبيراً ببناء مؤسسات تعليمية ذات طابع ديني وعلمي، جعلت من العلماء والفقهاء أداة لبناء دولة مركزية قوية، وضمان الاستقرار الفكري والاجتماعي. وفي هذا السياق، يهدف هذا الفصل إلى إبراز معالم النظام التعليمي خلال هذه الحقبة، من حيث بنيته، تنظيمه، ووظائفه، وأثره في دعم المشروع السياسي والديني السعدي.

1- المؤسسات التعليمية خلال العهد السعدي:

1-1- الكتاتيب (المسيد):

تعد الكتاتيب أو "المسيد" أولى مؤسسات التعليم التقليدي، حيث يلقى فيها الأطفال دروسهم الأولى في القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم. وكانت هذه الكتاتيب منتشرة في المدن والقرى، حتى أن كل حي أو دوار يكاد يضم واحداً منها. ويُذكر أن مدينة فاس وحدها احتضنت حوالي 135 كتّاباً، منها 120 للذكور و15 للإناث.[1]

وقد حظيت الكتاتيب بدعم الدولة، إذ اعتُبرت وسيلة فعالة لترسيخ القيم الدينية والاجتماعية. وأشار الرحالة الكمندار إلى انتشار هذه المؤسسات قائلاً: "يحفظ الصبيان القرآن عن ظهر قلب، فإذا أتموه يُهدى إليهم فرس، ويحمل المصحف، ويطوف محتفلًا بالحي، احتفاءً بختم القرآن.[2]"

كانت الكتاتيب تخضع لأعراف تنظيمية تشرف عليها جهات مثل المحتسبين ونُظار الأوقاف، خصوصًا عندما يكون للكتاب وقفٌ مخصص. وهو ما يعكس الطابع الديني والاجتماعي العميق لهذه المؤسسات.

1-2- المساجد ودورها التعليمي:

إلى جانب وظيفتها التعبدية، لعبت المساجد دوراً تعليمياً كبيراً. فقد تحولت إلى فضاءات لإلقاء الدروس في مختلف العلوم الدينية واللغوية. وتدرجت حلقاتها بين:

- دروس شعبية تلقى على عامة الناس،
- حلقات لتدريس المتون للمبتدئين،

[1] الحجوي الثعالبي، **الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي**، دار الفكر، بيروت، 1978، ج.1، ص. 45

[2] الناصري، المرجع السابق، ص. 112

- ودروس معمقة لطلبة أكثر تقدماً.

ويُعد جامع القرويين بفاس من أبرز هذه المساجد، حيث أسس سنة 245هـ/859م، وتوسعت بنيته التعليمية مع مرور الزمن، ليغدو من أهم المراكز العلمية في العالم الإسلامي[1].

ومن بين المساجد التعليمية:

1-2-1-الجامع الكبير بتارودانت:

شيّد هذا الجامع على يد السلطان محمد المهدي بن محمد القائم بأمر الله، المعروف بالشيخ، بعد أن خلع أخاه محمد الأعرج، ويُعد من أبرز إنجازات السلطان المهدي، الذي يُعتبر المؤسس الحقيقي للدولة السعدية.[2]

تزامن بناء الجامع مع إعادة بناء مدينة تارودانت وتحصينها، وتشييد ميناء أغادير سنة 947هـ، ومدينة الصويرة القديمة، مما يعكس استراتيجية سياسية وعمرانية متكاملة.

يقع الجامع في الجهة الجنوبية الشرقية للمدينة، قرب باب الزركان، ويجاوره من الجهة الشرقية مقبرة قديمة دُفن بها علماء منهم ابن الوقاد التلمساني.

ورغم ضخامة المسجد ومكانته، فإن المصادر التاريخية الكلاسيكية لم توثق تفاصيل تخطيطه بدقة، على خلاف مساجد فاس ومراكش. وقد يُعزى هذا إلى كون تارودانت لم تكن من مراكز القرار السياسي الرئيسة بعد انتقال العاصمة إلى مراكش، رغم أنها شكلت في عهد المهدي عاصمة فعلية لمنطقة سوس.

---

[1] الفاسي، عبد الهادي، جامعة القرويين: **أدوارها العلمية والإصلاحية**، منشورات كلية الآداب، فاس، 1992، ص ص.(63–75).

[2] الناصري، المرجع السابق، ص. 98

اختلفت آراء المؤرخين في تاريخ تشييد الجامع، فبينما يرى البعض أنه من بناء السلطان المهدي نفسه أثناء ولايته على سوس بين 923 و952هـ، يرى آخرون أن المسجد أقدم، وأن المهدي اقتصر على ترميمه وتجديده. ومع غياب نقوش تأسيسية واضحة، يُرجّح أن البناء أو التجديد تم بين عامي 923هـ و952هـ، فترة حكم المهدي للمنطقة واعتلائه العرش السعدي.

شهد المسجد بعد ذلك إصلاحات عدة، أبرزها في عهد السلطان العلوي الرشيد بن الشريف، الذي كلف القاضي محمد بن علي الرسموكي بترميمه، مما غيّر بعض معالمه الأصلية وزخرفته.

رغم هذه التعديلات، ظل الجامع مركزًا علميًا نشطًا، شهد حلقات علمية لعلماء من المنطقة، وأسهم في نشر المعرفة الدينية، وهو ما سعى إلى توثيقه عدد من المؤرخين المحليين من أبناء مدينة تارودانت.

1-2-2-جامع المواسين بمراكش:

يقع جامع المواسين، المعروف أيضًا باسم جامع الأشراف، في حي المواسين بمدينة مراكش، العاصمة السياسية للدولة السعدية. ويُرجح أنه بُني على موقع مقبرة يهودية قديمة، مما جعل بعض المتزهدين يتحرجون من الصلاة فيه في بداياته.[1]

تعود بداية تشييده إلى سنة 970هـ / 1562م، في عهد السلطان الغالب بالله عبد الله السعدي، كما جاء في رواية المؤرخ اليفرني التي نقلها السلاوي، حيث قال: "في عشرة السبعين والتسعمائة أنشأ السلطان الغالب بالله جامع الأشراف بحومة المواسين من مراكش، والسقاية المتصلة به... الذي ظهر نفعه، ووقف عليه أوقافاً عظيمة.[2]"

[1] مارسيه، جورج، **فن العمارة الإسلامية في المغرب**، ترجمة عبد المجيد بن جلون، الرباط، ص. 211

[2] اليفرني، كما ورد في: السلاوي، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تحقيق جعفر الناصري، دار الكتاب، الرباط، ج. 6، ص. 132

من حيث التصميم، يتكون الجامع من صحن مكشوف تحيط به أربعة أروقة، أهمها رواق القبلة .كما يتضمن عدة ملحقات داخلية مثل:

- بيت المنبر
- بيت الخطيب
- مصلى الجنائز
- خزانة الكتب
- بيت الاعتكاف

أما في الخارج، فيوجد الميضأة، السقاية، والمدرسة.

استخدم في بنائه الآجر والخشب والجص، وزُينت الأرضية بالزليج المغربي، أما المحراب فغطّاه الرخام، كما كُسيت الأسطح الخارجية بالقرميد الأخضر، مما يعكس روعة الصنعة السعدية.

لم يكن المسجد فضاءً تعبدياً فقط، بل كان مركزًا علميًا نشطًا، عُقدت فيه دروس الفقه والتفسير، وألقى فيه كبار العلماء دروسهم، مثل:

- محمد بن أبي القاسم الحسيني ت. 988هـ
- أحمد بابا التنبكتي السوداني ت. 1036هـ[1]

1-2-3-جامع الفنا :

كان المنصور قد شرع في بناء هذا الجامع باسم جامع الهنا بمراكش وكان الوباء في هدا الوقت يفتك بالسكان فتكا ذريعا ومات المنصور والمسجد لما يكمل

[1]أحمد بابا التنبكتي، **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. 2، 2007، ص. 215

،فاطلق عليه جامع الفنا بسبب الوباء المذكور وقد حملت الساحة التي يوجد بها هذا الاسم ايضا.[1]

1-3-الزوايا:

الزاوية، وهي أشبه بمؤسسة دينية تربوية، لعبت دورًا مزدوجًا: تعليمياً وتربوياً. وهي تضم عادةً غرفًا للطلبة، قاعة للتدريس، مكتبة، ومسجد. وقد نشأت عدة زوايا بارزة خلال العهد السعدي منها:

1-3-1-الزاوية الجزولية بمراكش:

في مدينة مراكش غير بعيد عن ضريح الأشراف السعديين، يوجد مجموع معماري يضم مسجد و ضريح و مسيد (كتاب) و سبيل و مضيفة و حمام، تعرف جميعها بزاوية سيدي سليمان الجزولي، و يحدها من الجهة الجنوبية و الغربية مقبرة قديمة سابقة على بناء الزاوية كانت تعرف بقبور الأشراف.[2]

شيدت الوحدات المكونة لهذه الزاوية على فترات متتالية ، فالضريح الذي يضم رفاة الشيخ محمد بن سليمان الجزولي على يد السلطان أحمد الأعرج سنة 930هـ، بعد أن قام بنقل رفاة هذا الصوفي و والده القائم من أقفال[3]، ثم صار هذا الضريح النواة للمنشآت المكونة للزاوية.[4]

---

[1] حركات، المرجع السابق، ص446.

[2]الافراني محمد الصغير، **نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي**، تحقيق عبد اللطيف الشادلي، ط1، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، 1998ص22.

[3] المرجع السابق، ص60.

[4]محمد السيد محمد أبو رحاب، **العمائر الدينية و الجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين**، ط1، دار القاهرة ،2008، ص348.

1-3-2- زاوية أبي البركات تيدسي:[1]

ولد أبو البركات محمد بن أبي بكر التيدسي في مدينة تيدسي جنوب غرب تارودانت، و هي شبه واحة صحراوية تقع بالأطلس الصغير، و قد نشأ أبو بركات التيدسي في بيئة محافظة بمنطقة سوس، لا يعرف بالضبط تاريخ ولادته، بدأ تعلمه الأولي، فحفظ كتاب الله إذ يقول عنه الحضيكي:" بركة بن محمد بن أبي بكر التيدسي، كان رضي الله عنه، أستاذا قارئا لكتاب الله، بروايات عابد ناسكا واليا صاحا، توفي رحمة الله عليه عام أربعة و ثلاثين و تسعمائة.[2]"

1-3-3-زاوية تمصلحوت:

يرجع تأسيس تمصلحوت بمراكش، إلى حركة الطرق الصوفية التي ظهرت بالمغرب خلال عهد السعديين، فقد استطاع السعديون تحقيق انتصارات ضد البرتغاليين و القضاء على حكم الوطاسيين، و أن يكسبوا شيوخ التصوف إلى صفهم، و ذلك لما لهم من تأثير كبير على عامة الناس. تأسست هذه الزاوية على يد عبد الله حسين الأمغاري[3]، في تمصلوحت، بعد أن طلب منه شيخه الغزواني، إعادة إعمار هذه القرية الخالية من الماء، و قد أصبحت في مدة قصيرة 1538-1528م تمصلوحت مدينة عامرة.

[1] تيدسي مدينة كبيرة تحتوي أربعة آلاف كانون، على بعد ثلاثين ميلا من تروادنت، و ستين ميلا من البحر، وهي منطقة خصبة، و قد دخلت تيدسي عام 920 في طاعة الشريف الذي اتخذها عاصمة له، الوزان، المصدر السابق، ج 1، ص119.

[2] الحضيكي، المرجع السابق، ص185.

[3] عبد الله بن حسين الشيخ الولي ذو المناقب لا تحصى، من شرفاء بني أمنار/ كان من أصحاب الشيخ سيدي أبي محمد الغزواني، توفي في سنة 976هـ، محمد بن عسكر، المخطوط السابق، ص.50

لقد عرف عبد الله بن حسين بدرايته بأمور الفلاحة، إذ توافد العديد من القبائل على زاويته، من اجل الاستفادة من خبرته، حيث منحهم الأراضي مقابل الخمس أوالعشر، مما يوفر للزاوية موردا دائما يمكنها من ممارسة مهامها الدينية الروحية والتعليمية[1].

اعتمدت هذه الزوايا على الأوقاف والتبرعات كمصدر تمويل، وبرز دورها في تخريج نخبة من العلماء والصلحاء الذين شاركوا في الحياة الدينية والعلمية والسياسية.

1-3-4- زاوية سيدي علي:

تقع زاوية سيدي علي في وسط تمكروت، [2]غير بعيدة عن زاوية الناصرية، بانحراف صغير عن طريق المؤدية إلى تكمدارت و زكورة ، و هي الآن عبارة عن قصر صحراوية، بالقرب منه ضريح الشيخ علي بن محمد الجزولي. كان لهذه الزاوية علاقة وطيدة مع السعديين، نظرا لقربهم لتكمدارت، واتصالاتهم مع السلطان القائم بأمر بالله، فقد كان لشيوخ هذه الزاوية دور سياسي في إقامة دولة الشرفاء السعديين، ضمن الحركة الصوفية السياسية التي ظهرت بمنطقة الجنوب[3].

1-4-المدارس:

تعتبر المدارس من مؤسسات التعليم الثانوي، حيث يدرس فيها الطلبة بعد الكتاتيب. تشبه المدارس الزوايا من حيث التصميم لكنها تركز بشكل أكبر على التعليم النظامي. وقد أنشأ الملوك السعديون العديد من المدارس، منها:

1-4-1-مدرسة ابن يوسف بمراكش (الغالبية):

[1] محمد المازوني، **زاوية تمصلوحت خلال القرن السادس عشر**، مجلة كلية الآداب و العلوم الإنسانية، العدد8 ، مطبعة إدويسعدن، مراكش ،1992ص129.

[2] تمكروت منطقة واسعة تشتمل على عدة قصور على ضفاف نهر درعة. تمكروت.

[3] محمد حجي، الحركة الفكرية، ج 2،ص545.

تقع المدرسة داخل أسوار مدينة مراكش، وسط المدينة القديمة، قرب جامع ابن يوسف، أكبر مساجدها في ذلك الوقت، و يعود تاريخ تأسيس هذه المدرسة إلى عصر السلطان عبد الله الغالب 981-965هـ ،[1]و قد نقش إلى لوحة من خشب على عتبة الباب الرئيسي" أقامي للعلوم و للصلاة على أمير المؤمنين وسيط خاتم الرسل اسمي الخلائق عبد الله المبين لمولانا أمير المؤمنين أبا أحمد عبد الله بن مولانا أمير المؤمنين أبو عبد الله محمد الشيخ الشريف الحسني أيد الله أمره بمنه[2]"

1-4-2-مدرسة جامع باب دكالة بمراكش:

أنشأت من قبل مسعودة بنت أحمد الوزكيتي، زوجة السلطان محمد المهدي ووالدة السلطان احمد المنصور، كملحق للجامع الذي شيدته بحي باب الدكالة بمراكش، تشغل هذه المدرسة مساحة مستطيلة الشكل، وتخطيطها عبارة عن صحن أوسط مغطى، و توجد من جوانبه الشرقية والجنوبية الغربية مساكن لطلبة.[3]

1-4-3-مدرسة جامع الأشراف بمراكش:

قام ببنائها عبد الله الغالب بالله السعدي، بجانب المسجد الجامع بحي المواسين سنة 970هـ، تقع هذه المدرسة إلى الغرب من جامع المواسين وهي محاطة بالمساكن و الحوانيت من الجهات الأربع ما عدا جزء من واجهتها الغربية، الذي يضم مدخل المدرسة، و قد تحولت اليوم إلى دور للسكان.[4]

[1] حجي، المرجع السابق، ص 123.

[2]الناصري، المرجع السابق، ج 5، ص38.

[3]السيد أبو رحاب، المرجع السابق ، ص337.

[4]المرجع السابق، ص339.

1-4-4-مدرسة جامع أبي العباس السبتي:

شيدها السلطان عبد الله بن أحمد المنصور[1]، بجانب الجامع الذي شيده بحي باب تغزوت بمراكش، بالقرب من ضريح الولي الصالح أبي العباس السبتي حوالي عام 1012هـ، و قد حمل هذا الجامع اسم هذا الصوفي، و كذلك المدرسة التي عرفت باسم المدرسة العباسية. تقع المدرسة جنوب جامع أبي العباس السبتين و هي محاطة بالمساكن والحوانيت، و لا يظهر لها سوى المدخل الرئيسي، و هي عبارة عن صحن في الوسط مكشوف، تحيط به أربعة أروقة، تقع خلفها مساكن الطلبة. المدخل الرئيسي يوجد الطرف الغربي للواجهة الشمالية للمدرسة، و هو باب خشبي، و تتكون المدرسة من طابقين، كما تطل مساكن الطلبة على الأروقة الأربعة التي تشرف على الصحن، و حجرات مسكن الطلبة ذات مساحة مستطيلة.[2]

- مدرسة الشواطين، التي أسسها المولى الرشيد عام 1081هـ/1671م، وتميزت بسعتها وتعدد غرفها 232 حجرة[3].
- مدرسة العبدلاوية، أنشأها السلطان المولى عبد الله سنة 1145هـ/1732م.
- مدرسة باب الجيسة، أنشأها السلطان محمد بن عبد الله، وكانت موجهة لطلبة جبالة[4].

[1] هو أبو فارس عبد الله بن أحمد المنصور الذهبي: بويع بمراكش بعد وفاة والده عام 1012هـ، و دخل في صراع مع إخوته على الملك، ثم قتل من طرف ابن أخيه عبد الله بن المأمون سنة 1018هـ . عبد السلام بن محمد الخياط القادري ، مختصر تاريخ الشرفاء، تحقيق عبد السلام المنصوري، دار الأمان، الرباط،2012، ص177.

[2] السيد أبو رحاب، المرجع السابق، ص .343

[3] الإدريسي، محمد، **التعليم والمعمار في المغرب السعدي**، منشورات وزارة الثقافة، 2015، ص. 122.

[4] محمد المنوني، **الحياة العلمية في المغرب في العصر الحديث** .الرباط: دار النشر المغربية، 1997، ص ص.(141-147).

- مدرسة النحاسين، والعطارين، والحبالين، التي أنشأها السلطان الحسن، وخصص بعضها لطلبة من سوس وبني زرهون[1].

2- مراحل التعليم:

في عهد السلطان أحمد المنصور الذهبي 1578–1603م ازدهارًا في الحياة العلمية والتعليمية، مستفيدًا من الاستقرار السياسي والرخاء الاقتصادي الذي أعقب معركة وادي المخازن 1578م. وتميزت هذه المرحلة بتطور منظومة التعليم التي حافظت على طابعها التقليدي، القائم على المسجد كمركز للتعليم الديني، وعلى التعلم الشفوي القائم على الحفظ والتلقين، لكنها بلغت درجة كبيرة من التنوع في مستوياتها وموادها[2].

2-1- التعليم الأولي (الكتّاب القرآني):

كانت بداية التحصيل المعرفي في الكتاتيب القرآنية أو "المسيد"، وهي مؤسسات بسيطة، غالبًا ما تكون ملحقة بالمساجد، متخصصة في تعليم القرآن الكريم للأطفال، ذكورًا وإناثًا، بدءًا من سن الرابعة أو الخامسة وحتى الثانية عشرة أو الثامنة عشرة أحيانًا.

يتمحور المنهج حول تحفيظ القرآن الكريم اعتمادًا على الذاكرة، بالإضافة إلى تعلم القراءة والكتابة وتحسين الخط وزخرفة الألواح الخشبية، فضلًا عن تعليم قواعد التجويد والوضوء والصلاة. وكان لهذا التعليم بعد أخلاقي وسلوكي، إذ يُغرس فيه احترام المعلم، والالتزام الديني، والسلوك القويم.

---

[1] أحمد الزرهوني، **المؤسسات التعليمية في المغرب الوسيط** .الدار البيضاء: إفريقيا الشرق، 2008، ص. 98.

[2] عبد المجيد الشابي، **تاريخ التربية والتعليم في المغرب** .منشورات كلية الآداب، الرباط، 2009، ص. 201.

ويُعد هذا المستوى مرحلة تأسيسية تُهيئ التلميذ للانتقال إلى التعليم المتوسط عند إتمام حفظ القرآن، وهو إنجاز كان يُحتفى به في المجتمع المغربي، ويدلّ على بداية نضج معرفي[1].

2-2- التعليم المتوسط: الزوايا والمساجد:

ينتقل الطلبة بعد حفظ القرآن إلى مرحلة التعليم المتوسط، حيث يبدأ التحصيل العلمي في المساجد الكبرى أو الزوايا، وهي مؤسسات لعبت دورًا مزدوجًا: دينيًا وروحيًا من جهة، وعلميًا من جهة أخرى.

يرتكز التعليم في هذه المرحلة على حفظ المتون في علوم اللغة والفقه، كالأجرومية في النحو، والألفية في الصرف، ومتن ابن عاشر في الفقه، ولامية الأفعال وغيرها، ويُطلق عليها "الأمهات" نظرًا لمكانتها الأساسية في التكوين العلمي للطالب.

ويقوم التدريس على الشرح والإملاء والاعتماد على الرواية عن الشيوخ، مما يُكوّن العلاقة التربوية التقليدية بين الطالب والأستاذ (الشيخ)، والتي كانت تمثل العمود الفقري للعملية التعليمية في هذه المرحلة[2].

2-3- التعليم العالي: جامعة القرويين:

بلغ التعليم ذروته في عهد المنصور في جامعة القرويين بفاس، التي شكلت آنذاك أعرق مؤسسة علمية في العالم الإسلامي .واحتفظت القرويين بمكانتها العلمية، إذ استقبلت طلبة من سائر أرجاء المغرب ومن بلدان إسلامية أخرى، دون تمييز طبقي أو عرقي، وكان التعليم فيها مجانيًا تمامًا[3].

---

[1] المنوني، **الحياة الثقافية في المغرب** .دار الغرب الإسلامي، 2004، ص. 58.

[2] المرجع السابق، ص61.

[3] المنوني، المرجع السابق، ص. 172

لم يكن هناك تقويم سنوي محدد، وكان الطلبة يتوافدون في موسم الخريف غالبًا، ويتقدمون إلى العلماء لحضور حلقاتهم دون حاجة لتسجيل إداري. كان النظام تعليميًا حرًّا يعتمد على المبادرة الفردية.

أما العملية التعليمية فكانت تتم في شكل حلقات حول الأستاذ، تبدأ صباحًا وتُستأنف مساءً، حيث يُقرأ نص علمي، ويقوم الأستاذ بشرحه وتفصيله، بينما يكتفي الطلبة بالاستماع والتقييد أحيانًا. ومن أبرز المواد التي دُرّست:

- الفقه المالكي
- علوم اللغة (نحو، صرف، عروض)
- الأصول والمنطق
- الرياضيات والفلك والحساب[1]

وقد عُرف عن طلاب القرويين خلال هذا العهد تنوع مشاربهم، وصرامة تحصيلهم، مما جعلها بيئة علمية نابضة، ساهمت في إنتاج نخبة من الفقهاء والقضاة والأساتذة الذين خدموا الدولة السعدية إداريًا وقضائيًا[2]

[1] الإدريسي، المرجع السابق، ص. 133.

[2] الشابي، المرجع السابق، ص. 214.

3- الحواضر العلمية الكبرى:

3-1- فاس :

احتلت مدينة فاس مكانة محورية كمركز علمي وثقافي ،عرفت في هده الفترة توافد مهاجرين من الاندلس وقد استقبلتهم في مختلف المساجد والمدارس ،كما نجد في طليعة علماء فاس اقدم أساتذة احمد المنصور افنوا اعمارهم في التدريس والتأليف وان اختلفت مشاربهم واذواقهم منهم :[1]

- ابو النعيم رضوان بن عبد الله 991 ت/1583
- احمد بن القاسم القدومي 1584/992
- احمد بن على المنجور المكناسي 995/ 1587

ومن بين اهم المراكز العلمية نذكر جامع القروين وجامع الاندلس ومدرسة العطارين ومدرسة الحلفاوين ولم يقتصر عمل العلماء المحاضرين على التدريس بجامع معين بل ان بعضهم يدرس في جوامع عديدة كما ان البعض يقوم الى جانب التدريس بالإفتاء او بمهمة الخطابة.[2]

[1] حجي، المرجع السابق، ص 48.

[2] كريم، المرجع السابق، ص (308-314).

3-2 - مراكش :

غدت مراكش مقصد العلماء والادباء ،بفضل من نزح اليها من علماء فاس ومن وفد اليها من البلدان المجاورة سوس والاطلس الكبير دخلوها في ركاب الامراء الجدد، جاؤوها بحثا عن الاستقرار والعيش في كتف الدولة.[1]

وقد جاء الى مراكش ايام احمد المنصور الذهبي :

- امام الدين بن محمد الخليلي المقدسي 1591/999
- احمد بابا بن محمد احمد اقيت التكروري التمبكتي 1687/1036

كما شهدت عاصمة مراكش كبريات مساجدها نشاطا علميا واسعا مثل جامع[2]الشرفاء، وغدت عاصمة المنصور السياسية بفضل حركتها العلمية منبع علم الديار المغربية ومما امتازت به ايضا في المجال الثقافي حلقات الدرس التي كانت تعقد خلال شهر رمضان المعظم ونذكر ايضا من نبع من طائفة العلماء شباب امثال عبد العزيز بن محمد الفشتالي 1031/21-1622.[3]

1

[2] حجي، المرجع السابق، ص43.

[3] كريم، المرجع السابق، ص313.

4- أثر الحياة العلمية:

الحياة العلمية في العهد السعدي الأول حتى 1578م عرفت ازدهارًا ملحوظًا في ظل تحولات سياسية ودينية واجتماعية عميقة، ساهمت في بلورة مشهد ثقافي غني ومعقد. وقد أولى السعديون، خصوصًا في عهد السلطان محمد الشيخ وأبنائه، عناية كبيرة للعلوم والمعارف، إدراكًا منهم لدور العلماء في ترسيخ الشرعية السياسية ومواجهة التحديات الداخلية والخارجية.

جاءت الدولة السعدية في سياقٍ مضطرب داخليًا وخارجيًا. فقد كان المغرب في نهاية العصر الوطاسي يعيش حالة من التفكك السياسي والغزو الأجنبي، خاصة من قبل البرتغاليين .لذلك، كان تأسيس الدولة السعدية مشروطًا بتثبيت شرعيتها عبر آليات دينية وعلمية، فكان من الطبيعي أن تولي أهمية كبيرة للعلم والعلماء، خصوصًا وأن النسب الشريف الذي رفعته كان يتطلب دعمًا شرعيًا قويًا من الفقهاء.[1]

4-1-المراكز العلمية ومؤسسات التعليم:

كانت فاس ومراكش أبرز الحواضر العلمية في هذه المرحلة، بفضل ما احتضنتاه من مؤسسات مثل جامع القرويين ومدرسة ابن يوسف .لعبت هذه المؤسسات دورًا أساسيًا في تدريس العلوم الشرعية كالفقه المالكي، والتفسير، والحديث، إلى جانب النحو والمنطق[2] .

كما ظهرت مراكز أخرى جنوب المغرب، خاصة في تارودانت، التي اختارها السعديون عاصمة لهم في البداية، حيث أسسوا بها مدارس ومساجد شكّلت نواة

---

[1] حجي، **الحياة الثقافية في المغرب في عهد السعديين**، الدار البيضاء، مطبعة النجاح، 1990، ص (27-28).

[2] عبد الله الجراري، **من أعلام الفكر المغربي في عهد السعديين**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993، ص. 113.

لحركة علمية محلية ناشئة، ساعد في نموها توافد العلماء من المناطق المجاورة والوافدين من الخارج.[1]

عرف المغرب في عهد السعديين شبكة تعليمية متعددة المستويات:

- **المساجد الكبرى** مثل جامع القرويين في فاس، وجامع ابن يوسف في مراكش، حيث كانت تدرّس العلوم الشرعية واللغوية.
- **المدارس العتيقة** في نواحي سوس ودرعة ودكالة، والتي لعبت دورًا مهمًا في نشر العلم خارج المراكز الحضرية.
- **الزوايا الصوفية** التي لم تكن فقط مراكز روحية، بل تحوّلت إلى معاهد علمية تجمع بين التصوف والتعليم، مثل الزاوية الناصرية والزاوية الدلائية.

وقد اتسم هذا التوزيع بلا مركزية نسبية، حيث لم تحتكر المدن الكبرى التعليم، بل ظهرت مراكز علمية قوية في الجنوب المغربي بفضل الدعم السلطاني[2].

4-2-العلماء والدور الديني والسياسي:

برز في هذه المرحلة علماء كبار مثل أحمد زروق وأبي عبد الله المقري، الذين كان لهم تأثير علمي وروحي كبير، كما شكّلوا حلقة وصل بين السلطان والشعب . استفاد السعديون من نفوذ العلماء لتثبيت حكمهم، خاصة عبر دعم التصوف السني، وتقوية شوكة الزوايا، في إطار تحالف غير معلن بين السلطة الدينية والسياسية.

كما برزت بعض الزوايا مثل الزاوية الناصرية والزاوية الدلائية كمراكز علمية ودينية، لها تأثير كبير في الجنوب والوسط المغربي[3].

---

[1] عبد الهادي التازي، **جامع القرويين**، منشورات وزارة الأوقاف، الرباط، 1983، ص ص (180-184).

[2] المنوني، المرجع السابق، ص ص(93-97).

[3] حجي، المرجع السابق، 1990، ص 67.

اعتمد السعديون على العلماء كـ"وسيط شرعي" بين الحاكم والرعية. هذا الدور جعل العلماء ليسوا فقط "أدوات تعليمية"، بل فاعلين سياسيين ضمن جهاز الدولة، حيث أسندت لهم أدوار في القضاء، الإفتاء، وشرعنة الجهاد ضد الغزاة.

لكن هذه العلاقة لم تكن دائمًا متكافئة، إذ كان هنالك نوع من الضبط السلطاني للمجال العلمي، بحيث أصبح العلماء ملزمين بخط السلطان، مما حدّ من مساحة النقد أو الاستقلال الفكري [1].

4-3-العلوم النقلية:

4-3-1- الفقه:

هو مجموعة العبادات والمعاملات المستخرجة اصلها من القرآن والحديث والقياس والاجماع وهو اما فقه بحت او نوزال اي قضايا قديمة قياسية اتباعية في صور شاذة ونادرة وعجمية فتقاس عليها القضايا الجديدة .[2]

لم يكن انتشار الدراسات الفقهية في الواقع ظاهرة دينية خالصة، وانما هو ظاهرة دينية دنيوية، لان الفقه يحتوي على عبادات ومعاملات فحسب، ولكن لكونه مصدرا للعيش والارتزاق ايضا، فيتبؤ الفقهاء من المناصب الدينية والخطط الاجتماعية مالا مطمح فيه لغيرهم من العلماء.[3] ومما ذكره ابن خلدون عنه فقال "الفقه معرفة احكام الله تعالى في افعال المكلفين بالوجوب والحذر والندب والكراهية والاباحة وهي ملتقاه

[1] الجراري، المرجع السابق، ص ص(87-89).

[2] عثمان الكعاك، **العلوم الإسلامية في المغرب الإسلامي**، الجزء 2، ص. 88.

[3] حجي، المرجع السابق، ص. 62.

من الكتاب والسنة وما نصبه الشارع لموقتهما من الادلة فاذا استخرجت الاحكام من تلك الادلة قيل لها فقه " .[1]

والذي يلاحظ على التأليف في هذه العلوم، انه اصبحت عبارة مختصرات – واقتصر في الاعتماد عليها وحدها واهملت الكتب المطولة الوافية بالغرض، واشهر الرجال الذين نبغوا في تلك العلوم في العهد السعدي، الحاج الشطبي، المتوفي سنة 960 صاحب كتاب اللباب في تفسير الكتاب وابن القاضي صاحب الفتح النبيل في اسماء العدد في التنزيل " وعبد الله بن الطاهر الريف صاحب الدر" لازهر في مناسبات الآيات والسور " المتوفي سنة 1045هـ، وعبد الواحد الانصاري السجلماسي المتوفي سنة 1054هـ وهو صاحب كتاب التفسير القرءان، وغيرهم من الفطاحل الامين ،[2] وقال احمد المنجور في فهرسته وكان الونشريسي مشاركا في فنون من العلم حسبما تضمنت ذلك فهرسته الا انه اكب على تدريس الفقه فقط.[3]

وقد امدنا الونشريشي بتراجم مفصلة عن بعض العلماء والفقهاء نذكر منهم على سيبل المثال الفقيه الشريف التلمساني وابو زيد عبد الرحمان التازي وابن البقالالى بعض الاسر العلمية الشهيرة في المغرب، ومن ذلك بني ابن صاحب الصلاة من اعيان تلمسان – واسرة العقباني بحاضرة تلمسان في القرن 8/14م وبني اليزناسي بفاس واما علم الكلام، فأكثره منظومات او شرح السنوسية، وعلى العموم فقد كان

[1] ابن خلدون، **المقدمة**، الجزء 6، ص. 543.

[2] عبد الله الأمين، **تاريخ المغرب العلمي**، (د.ط)، ص. 207.

[3] عبد السلام كربوع، **الفكر الديني في المغرب السعدي**، ص. 58.

تدريس هذه المادة عقيما في طريقته ونتائجه بسب الجدل الفلسفي الغامض الذي يصطبغ به مع كثرة الشروح والاراجيز حركات.[1]

4-3-2-التصوف:

فقد ظهر في المغرب بعد ظهوره في المشرق بفترة قليلة، فقد نزع الكثير من اهل المغرب الى الزهد ومنذ القون الأول للهجرة، لذا عرف المغرب ظهور حركات صوفية كثيرة كان لها بالغ الأثر على اوضاع المغرب منذ بداية القرن 19، حيث بدأت هذه الطرق مع ابي الحسن الشاذلي 656/1258م وانتشرت مع الشيخ الجازولي فأما على عهد السعديين فانه لم يعد مجرد سلوك لقوم زهدوا في ملذات الحياة، واقبلوا على العبادة والذكر في الرباط والزوايا، بقدر ما اصبح دراسة ومناظرة بين جماعة من النساك العلماء وبحثا في العلل النفسية والاعراض المادية، ومن ضمنها المشاكل السياسية والانحرافات الاجتماعية، وذلك الاجل حلول المشاكل و معالجة العلل والعادات السيئة.[2]

وقد عنى بعض علماء التصوف بوضع كتب ورسائل في التصوف، على شكل عظات وتوجيهات الى المريدين، او مختصارات او شروح لبعض المنظومات، لذا و يتضح مما ذكره الونشريسي ان هناك نوعان من التصوف في المغرب الاسلامي احدهما هو الغالب يمتاز اصحابه بالتطرف في افكارهم وطقوسهم واحداثهم والثاني يتسم بالاعتدال والمساهمة في خدمة المجتمع المغربي.[3]

---

[1] محمد،حركات، **الفكر الإسلامي في المغرب**، 1985، ص. 42، 46، 451-462.

[2] عبد الهادي السيد، **أثر التصوف في المجتمع المغربي**، 1996، ص. 124، 105.

[3] محمد الياسري، **التصوف السياسي في المغرب الإسلامي**، ص. 165.

وممن الفوا في التصوف وما يتصل به من نقد اجتماعي، عبد الوارث اليالصوتي، صاحب المسلك القريب الموصل الى حضرة الحبيب، ابو العباس احمد الشعبي التادلي الصومعي نسبة إلى الصومعة بتادلا محمد بن احمد المسناوي "فوائد في التصوف " محمد بن علي النيجي الزروالي "شرح صلاة القطب عبد السلام بن مشيش عبد الله بن محمد الهبطي الطنجي الفية في اذم البادع المتفشية في ايام رعية الحادث.[1]

وعليه ارى بان التصوف حسب ابن خلدون انه من العلوم الشرعية الحادثة في الملة واصله ان طريقة هؤلاء القوم لم تزال عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريقة الحق والهداية واصلها العكوف على العبادة والانقطاع الى الله تعالى والاعراض عن زخرف الدنيا كما تعددت بعض الكلمات والمصطلحات التي لها علاقة بمجال التصوف مثل الزاوية، المربي المريد، اذن فسلبيات الأسر الحاكمة للمغرب نقاط قوة استحضرها الصوفية في سحب البساط من تحت اقدام الوطاسيين لصالح السعديين.[2]

[1] الحسين قومار، **الحركات الصوفية في المغرب الأقصى**، ص. 26.

[2] ابن خلدون، **المقدمة**، الجزء 6، ص. 63، 200.

4-3-3- التاريخ:

ازدهر علم التاريخ بصفة خاصة ازدهارا فريدا، فكبرت فيه المؤلفات وتعدد المشتغلون به، لولا عناية اولئك المؤرخين بما كتبوه عن الدولة السعدية، لكان من الصعب علينا اليوم ان تحيط تماما بكل حريات الأمور في عهدها ، كماهو الشأن فيما يتعلق بتاريخ الوطاسيين، الذين تكشف فترتهم كثيرا من الغموض، لعدم وجود من ارخ لعهدهم ومن بين المؤرخين العظام الذين عاشوا في عهد الدولة : العلامة المقري صاحب كتاب نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب وكتاب ازهار الرياض، وعبد العزيز الفشتالي وابي العباس ابن القاضي وغيرهم .[1]

كذلك كان للمنصور مؤلفات التي كانت من ابرزها : المعارف في كل ما تحتاج اليه الخلائق الذي يتكلم فيه عن فقه الدولة وسياستها ويهتم بالطرق العلمية لصناعة الاسلحة والذخيرة، وبناء نقاط دقة " للدفاع، وايضا مؤلفه في دراسة الحديث النبوي نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة وكتابات أدبية شعرية متميزة، تظهر فيها المحسنات البديعية احيانا وقد تنوعت مسمايته وسمي بعلم التفسير : لاشتماله على ثلاثة فروع السيرة التي تعني بترجمة الرسول عليه السلام، واحواله التي سار عليها في مأكله وملبسه وافعاله وسائر تصرفاته من مبعثه إلى وفاته.

التراجم : دراسوا فيها اخبار ائمة المذهب المالكي في دروس الفقه، واخبار الصالحين في مجالس التصوف وغيرها اخبار الزمن وهو نوع من التاريخ السياسي والاجتماعي

[1] ابن خلدون، المقدمة، الجزء 6، ص. 63، 200.

درسوا فيه احوال الأمم القديمة، واحداث العالم الاسلامي منذ عهد الخلفاء الراشدين والأمويين الى القرن الحادي عشر.[1]

بغض النظر عن عدم مساهمة المغاربة في التاريخ العام مساهمة ذات اثر فان العناية بالتاريخ المحلى بدأت تبرز أكثر فاكثر من ايام المرابطين، لكن القرنيين العاشر والحادي عشر 16/17م كان الاهتمام بتاريخ احداثهما من نصيب مؤرخين اغلبهم ذو حظوة لدى البلاط أو كلفوا رسميا بوضع تاريخ الدولة، غير ان مناهل الصفا الفشتالي والذي يعد من اهم كتاب عن السعديين حتى نهاية عصر المنصور لم يصلنا منه حتى الآن الا جزء واحد وملخص له؛ واما المصادر التي يمكن الاستفادة منها فهي اما كتاب تاريخ سياسي او تراجم او فهارس شيوخ او كتب انساب او تقارير اجنبية.[2]

ومن بين المؤلفات عن العصر السعدي، مناهل الصفا لابي فارس عبد العزيز الفشتالي، هذا بالإضافة الى تاريخ الزمان للحاج محمد الشبيطي 1963[3] ويضاف اليه الممدود والمقصور من صفا أبي العباس المنصور لابي عبد الله محمد بن عيسى وتقييد في اخبار دولة الشرفاء السعديين لابي زيد عبد الرحمان السعدي، حوادث الدولة السعدية لا برهيم الوريالي 1637ه/ 1047م[4] ولا ينتهي الأمر عند هذا الحد فهناك ايضا المنتقى المقصور على مأثر مولانا المنصور الاحمد بن القاضي (خ.ع. الرباط) وتاريخ السودان لعبد الرحمان بن عبد الله السعدي 1066/

[1] حجي، المرجع السابق، نفس الصفحة.

[2] عبد العزيز الفشتالي، مناهل الصفا في أخبار الشرفاء الملوك بني سَعْد.

[3] محمد، الشبيطي، تاريخ الزمان، 1963.

[4] إبراهيم الوريالي، **حوادث الدولة السعدية**، ت. 1637م / 1047ه.

1655م[1] وقد نشره و ترجمه1901م . فعصر المنصور هو العصر الذي حظي بدعم خاص للجهود العلمية، وتنافس العلماء اثناءه في التأليف، حتى الفت برسم خزانته مئات الكتب والفت عن حياته.

4-3-4- الأدب:

خلفت الدولة السعدية الدولة المرينية ومضى تزايد العلماء والادباء، وبلغ السلطان المنصور الذهبي الغاية في ذلك، اذ فتح السودان وجاءته كنوز الذهب فالقى بكثير منها في دحور الشعراء الذين كان يجمعهم الى مجالسه وكانت مجالسه علمية ادبية يتناظر فيها العلماء في مختلف فروع العلم شوقي.[2]

وقد انتشرت العلوم انتشارا واسعا، وكان المنصور الذهبي نفسه متطلعا فيها، حيث كثرة رواية النوادر والاشعار حتى في مجالس القضاة وشيوخ العلم والتصوف بل في الاسواق وساحات القتال، وقد نبغ عدد وافر من الكتاب والشعراء من بلاد سوس وجبال الاطلس والريف، ومن ادباء ذلك العصر والمؤلفين في المادة على ابن عبد الواحد صاحب ديوان خطب وعبد الرحمان الشمنارتي صاحب ديوان الشعر والنابغة، وعبد العزيز الفشتالي صاحب مقدمة لديوان المتنبي وشرح المقصودة محمد حجي،[3]

ويبدو لي ان هذه العلوم قد شهدت اقبالا واسعا على الرغم من ان طرق التعليم وادواته لم تقدم كما كانت عليه من قبل كما يقول عنها ابن خلدون : وسمعنا من

[1] عبد الرحمن، السعدي، تقييد في أخبار دولة الشرفاء السعديين.

[2] أحمد شوقي، **الأدب في المغرب الإسلامي**، 2011، ص. 378.

[3] حجي، المرجع السابق، ص64.

شيوخنا في مجالس التعليم ان اصول هذا الفن واركانه. اربعة دواوين وهي ادب الكتاب لابن قتيبة وكتاب الكامل للمبرد وكتاب البيان والتبيين للحاحظ وكتاب النوادر لابي على القالي،[1] فالبتالي فقد ظلت الألفية والاجرومية بمختلف شروحها تتصدران بل تستبدان وحدهما تقريبا بعناية الطلاب والاساتذة والواقع طغت المنظومات والشروح في سائر المواد وبشكل لم يتقدم له نظير، اما محاولة تقرير كتب معينة للدراسة[2]. و ما ان قامت الدولة السعدية حتى اولت عناية الكبرى لشؤون الثقافة في البلاد، فتحددت حركة العلم والادب واحتل رجالها مكانتهم في المجتمع المغربي، ونشطوا في التأليف الكتب في شتى العلوم والفنون والادب.

خصوصا في عهد الملك العظيم المنصور الذهبي، الذي يعتبر بحق فريد عصره، فيما اولا من العناية، بتشجيع العلم والادب حيث عرج عليها صاحب كتاب عصر الدول والإمبراطوريات بقوله : ناقلا ايه عن ابن القاضي في كتابه درة الحجال بقوله: "له قدم راسخة في كل فن من معرفة الشعر والخبر والمنطق والمعاني والبيان والاصلين واللغة والحديث وعلوم النحو وغير ذلك وكان شاعرا كما كان عالما وعم بنواله الشعراء والعالم الامين.[3]

وان من ضمن كتب الأدب المؤلفة في هذا العهد، طلائع اليمن والنجاح محمد بن عبد العزيز التاملي في مدح المأمون السعدي، ذكر المختار السوسي ان منه نسخة بخزانة العابد الفاسي شرح مقصورة المكودي لابي بكر التاملي، ديوان سعيد

[1] ابن خلدون، المرجع السابق، ص200، ص63.

[2] حركات، المرجع السابق، 1985، ص462.

[3] محمد الأمين، المرجع السابق، ص373، ص206.

بن علي الحامدي، مجموع نثر شعر محمد ، ديوان محمد بن عبد العزيز الرسمولي، وكل هذه المؤلفات أوردها المختار السوسي في السوس العالمة ورغبة في ادراك المزيد من بعد.[1]

الصيت في المشرق، استجاز احمد المنصور بعض اساتذة مصر كبدر الدين القراضي وابي عبد الله محمد البكري و شملت دراسات المنصور الحديث والفقه والنحو واللغة والفرائض والهندسة والخير وغير ذلك، اما شيوخه فكثيرون منهم، محمد بن يوسف الشرعي، واحمد المنجور، واحمد القدومي النحوي، والمفني شقرون بن هبة الله الوهراني، والمفتي يحي الشراح، والفقيه ابراهيم الدماني حركات.[2]

[1] السوسي، المختار، السوس العالمة، المرجع نفسه.

[2] حركات، المرجع السابق، ص462.

خاتمة الفصل:

يتبيّن من خلال استقراء واقع المؤسسات التعليمية خلال العهد السعدي أن الدولة السعدية أولت عناية ملحوظة للعلم والعلماء، إدراكًا منها لأهمية المعرفة في ترسيخ السلطة الدينية والسياسية. وقد مر التعليم آنذاك بعدة مراحل، ابتداءً من الكتاتيب (المساجد والزوايا) كمراكز أولية للتلقين، وصولاً إلى المدارس والمعاهد العليا التي شكلت صرحًا علميًا متكاملًا، يعكس تطور الفكر التربوي والتنظيم المؤسسي في تلك الفترة.

كما شكّلت الحواضر العلمية الكبرى، كفاس ومراكش وتارودانت، مراكز إشعاع ثقافي، حيث استقطبت العلماء وطلبة العلم من مختلف أنحاء المغرب وخارجه، وأسهمت في الحفاظ على الموروث المعرفي الإسلامي، ونشره في ظل رعاية الدولة. وقد ساهمت هذه المراكز في نشوء نخبة علمية ساعدت في ترسيخ الفكر المالكي، ونشر علوم الشريعة واللغة والمنطق والفلك والطب.

أما أثر الحياة العلمية في العهد السعدي، فقد كان جليًا في قوة الإنتاج الفقهي والأدبي، وفي تأسيس تقاليد علمية قائمة على الإجازة والتلقين الشفوي، إضافة إلى المساهمة في ربط المغرب بالمشرق من خلال الرحلات العلمية والمراسلات، مما جعل من المغرب آنذاك جزءًا فاعلًا في المشهد العلمي الإسلامي.

وبذلك، فإن المؤسسات التعليمية في العهد السعدي لم تكن مجرد أدوات للتلقين، بل مكونًا جوهريًا من مكونات الدولة، شكّلت رافعة للهوية الدينية والسياسية، وأساسًا لبناء مجتمع قائم على المعرفة والشرعية الدينية.

الفصل الثالث

أشهر الأعلام في عهد السعديين

مقدمة الفصل:

1- أبو العباس أحمد بن القاضي 1552-1616م

2- عبد الرحمن المجذوب 1506-1569م

3- أبو الحسن علي بن محمد القلهادي ت. بعد 1600م

4-عبد العزيز بن محمد الفشتالي ت. 1621م

5- السلطان أبو العباس أحمد المنصور الذهبي 1549-1603م

6- محمد بابا التنبكتي (963هـ/1556م)

خاتمة الفصل:

مقدمة الفصل:

شهد المغرب خلال العهد السعدي الأول 1578–1603م مرحلة دقيقة من تاريخه، تميزت بتحولات سياسية وعسكرية فارقة، خاصة بعد معركة وادي المخازن سنة 1578م التي أرست هيبة الدولة السعدية داخليًا وأكسبتها مكانة دولية مرموقة. وإلى جانب الأحداث الكبرى التي طبعت هذه المرحلة، برزت نخبة من الشخصيات التي لعبت أدوارًا محورية في مختلف الميادين: السياسية، والعسكرية، والدينية، والعلمية.

إن البحث في سير هؤلاء الأعلام لا يقتصر فقط على إبراز مكانتهم الفردية، بل يسمح بفهم أوسع للسياق العام الذي تشكلت فيه الدولة السعدية، وللكيفية التي ساهم بها الفكر، والعلم، والسياسة في ترسيخ السلطة وتقوية أواصر المجتمع المغربي.

ويهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على أشهر هذه الشخصيات، وتحليل مساهماتهم في بناء وتطور الدولة السعدية، وذلك عبر قراءة نقدية تجمع بين المقاربة التاريخية والتحليل الاجتماعي والثقافي، استنادًا إلى المصادر التاريخية المعاصرة والشهادات الوثائقية المتوفرة.

فمن خلال دراسة هؤلاء الأعلام، يمكننا الوقوف على طبيعة التحديات التي واجهتها الدولة، والوسائل التي اعتمدتها النخبة السعدية لضمان الاستمرارية والازدهار في ظل بيئة إقليمية ودولية مضطربة.

1–أبو العباس أحمد بن القاضي 1552–1616م:

أحمد بن القاضي نموذج "العالم الموسوعي الإداري"، إذ انتقل من عالم الفقه إلى مؤرخ الدولة. كان دوره الأساسي كتابة التاريخ الرسمي للدولة السعدية، و"تدوين الذاكرة الشرعية"، من خلال مؤلفاته التي ركّزت على تراجم العلماء، وعلى سردية الانتصارات السياسية.

تحليلنا لأعماله مثل "جذوة الاقتباس" يكشف عن توظيف التاريخ كأداة هيمنة رمزية، حيث صوّر الدولة السعدية كامتداد للأمجاد المرينية، وربط العلماء بالسلطة في شبكة ولاء غير معلنة[1].

يعد من أبرز القضاة والعلماء الذين لمع نجمهم في البلاط السعدي، خصوصًا في عهد المنصور الذهبي. جمع بين الفقه والتاريخ والأدب، واشتهر بمؤلفاته التراجمية.

شغل منصب القضاء بعدة مدن، وكان قريبًا من السلطان المنصور الذي استدعاه إلى مراكش وقرّبه منه، ما يفسر وفرة الإنتاج التاريخي الموجَّه لخدمة الدولة[2].

أهم ما تميز به:

- كان أبرز المؤرخين السعديين، وعُرف بدقة التوثيق وغزارة المعرفة.
- كتب "جذوة الاقتباس في ذكر من حل من اعلام مدينة فاس"، وهو من أهم مصادر التراجم في المغرب.

[1] محمد بن شريفة، "مقدمة جذوة الاقتباس"، ص.(11–16).

[2] أحمد بن القاضي، جذوة الاقتباس، تحقيق محمد بن شريفة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، المقدمة.

- امتاز بأسلوب موسوعي، جمع بين الفقه والتاريخ والسير، مع قدرة على ربط العلماء بسياقاتهم الاجتماعية والسياسية[1].

المؤلفات:

- ✓ جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس.
- ✓ المنتقى المقصور على مناقب المعسور والميسور
- ✓ نيل الأمل في ذيل الدول

2- عبد الرحمن المجذوب 1506-1569م:

وإن كان قد توفي قبل سنة 1578، فإن تأثيره الأدبي والروحي استمر في العهد السعدي المتأخر. يعد من رموز التصوف الشعبي والزهد، واشتهر بأزجاله وحكمه التي كانت تُتناقل شفهيًا. أزجاله تعكس حكمة شعبية ورؤية اجتماعية ناقدة، وغالبًا ما تُقرأ في سياق مقاومة الظلم أو الفساد.

يعتبر المجذوب ظاهرة أدبية-صوفية تعكس روح المجتمع المغربي في مرحلة اضطراب سياسي واجتماعي.[2]

رغم أنه سبق عهد المنصور الذهبي بقليل، فإن المجذوب استمر أثره الأدبي والصوفي في العهد السعدي المتأخر، وتم إعادة توظيف صورته الرمزية في الخطاب الشعبي .يشكل المجذوب مثالًا على "المثقف الشعبي" الذي ينقد السلطة والأخلاق بأسلوب رمزي شعري، دون صدام مباشر.

[1] أحمد بن القاضي، المرجع السابق.

[2] عبد الله كنون، النبوغ المغربي في الأدب العربي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1961، ج1، ص. 210.

أزجاله تكشف عن رؤية وجودية مبسطة ولكن عميقة، تتناول الموت، الزهد، العدالة، والفتنة السياسية. ولهذا ظل صوته حيًّا في الثقافة الشفوية، كمصدر "حكمة للناس" أكثر من السلطة.

أهم ما تميز به:

- اشتهر بأزجاله الشعبية التي عبّرت عن حكمة صوفية وروح اجتماعية ناقدة.
- لم يكن فقيهًا أو مؤرخًا تقليديًا، بل كان رمزًا لـ"الصوفي الشعبي"، وقد نال محبة العامة نظرًا لأسلوبه البسيط والعميق في آنٍ واحد.
- تناول في شعره قضايا العدل، الفقر، الزهد، وفساد السلطة بشكل رمزي[1].

المؤلفات:

- ديوان الزجل (جمع لاحقًا من الرواية الشفوية)

3- أبو الحسن علي بن محمد القلهادي ت. بعد 1600م:

عالم وفقيه بارز عاش في فترة المنصور الذهبي، عرف بمشاركته في الحياة القضائية والتعليمية، خصوصًا في جنوب المغرب. من أبرز خصائصه العلمية:

- الدفاع عن الفقه المالكي بمنهج تقليدي صارم.
- انخراطه في التعليم بالمدارس والزوايا، خاصة في نواحي سوس.

[1] المرجع السابق، ص210.

تذكر له فتاوى كثيرة وردت في كتب النوازل، ويُعد مثالًا على العلماء الذين تولوا مناصب شرعية بإشراف الدولة السعدية[1].

ينتمي القلهادي إلى فئة "العالم المخزني"، أي أولئك العلماء الذين تم توظيفهم في وظائف الفتوى والقضاء لتقوية شرعية الدولة. تتسم فتاويه بالاتساق مع التوجه السعدي في الالتزام بالمذهب المالكي التقليدي، ومحاربة البدع العقدية أو السياسية.

وجود القلهادي يظهر كيف أن الدولة لم تكن فقط تحكم بالسيف، بل كانت تؤسس حكمها بالفتوى، مما يُظهر الدور السياسي العميق للفقه في هذه المرحلة[2].

المؤلفات:

- ✓ لا يعرف له مؤلفات مستقلة منشورة، لكن وردت فتاويه في كتب النوازل مثل المعيار المعرب ونوازل العلمي.

4-عبد العزيز بن محمد الفشتالي ت. 1621م:

هو كاتب الدولة السعدية الرسمي، وشاعرها ومؤرخها، وقد لازم السلطان أحمد المنصور طيلة فترة حكمه. من أهم أعماله:

- ➢ مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا، وهو سجل رسمي لتاريخ الدولة السعدية، يحمل طابعًا دعائيًا سلطانيًا.
- ➢ دواوين شعرية تمجد السلطان والمنجزات السياسية والعسكرية[3].

[1] محمد المنوني، المرجع السابق، ص ص(77-78).

[2] المرجع السابق، ص ص(103-105)

[3] عبد العزيز الفشتالي، مناهل الصفا، تحقيق حسن الوزاني، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 2001، ج1، ص19.

الفشتالي ليس مجرد كاتب، بل يجسد الذراع الثقافية للدولة السعدية بوصفه كاتب المنصور، أنتج نصوصًا أدبية وتاريخية مشبعة بخطاب التمجيد والبروباغندا السلطانية .كتابه مناهل الصفا نموذج واضح لخطاب الدولة، حيث تُستعرض الفتوحات، وتقدم صورة "المهدي المنتظر" عن السلطان المنصور.

شعره، وإن كان فنيًا، إلا أنه يخضع لوظيفة سياسية واضحة: بناء الصورة الرمزية للملك، وربطه بالنبوّة، والخلافة، والتفوق المغربي[1].

أهم ما تميز به:

- يمثل نموذج الفقيه المخزني الذي ارتبط بالسلطة السعدية من خلال القضاء والإفتاء.
- عُرف بدفاعه عن المذهب المالكي التقليدي، وبرز في التعامل مع النوازل القضائية.
- كان له دور في ضبط الحياة الدينية وتنظيم العلاقة بين الدولة والزوايا[2].

المؤلفات:

- ✓ مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا (تاريخ رسمي للدولة السعدية).
- ✓ ديوان شعر
- ✓ تحفة القاضي في مدح ابن القاضي

[1] المرجع السابق، ص ص(20–30).

[2] المنوني، المرجع السابق، ص77.

5- السلطان أبو العباس أحمد المنصور الذهبي 1549-1603م:

لم يكن المنصور مجرد حاكم، بل كان راعيًا للعلم والمعرفة بوعي سياسي رفيع . أسس دار العلم، وشجّع اقتناء المخطوطات، وأرسل بعثات علمية إلى المشرق، بل حتى استقدم علماء وأطباء أندلسيين وأفارقة إلى بلاطه.

لكن هذه الرعاية لم تكن "فكرًا حرًّا"، بل كانت ضمن منظومة شرعنة الحكم .لقد وظّف المنصور الثقافة والدين والفقه والتاريخ لإثبات سلطته كخليفة غير معلن، في منافسة مع العثمانيين[1].

خلال فترة حكمه:

- دعم حركة التأليف والنسخ، وشجع على اقتناء الكتب والمخطوطات.
- أنشأ دار العلم بمراكش، واستقدم العلماء من داخل المغرب وخارجه.
- أرسل بعثات علمية ودبلوماسية إلى العثمانيين والمماليك، ما يدل على انفتاحه الثقافي والدولي.
- سياسات المنصور الثقافية جعلت من عهده العصر الذهبي للثقافة السعدية[2].

أهم ما تميز به:

- تميّز المنصور بقدرة كبيرة على المناورة السياسية، فاستفاد من توازن القوى بين العثمانيين والإسبان والبرتغاليين، وحافظ على استقلال المغرب من الهيمنة الأجنبية.

[1] محمد حجي، الحياة الثقافية، ص ص(132-137).

[2] عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب، ص. 223.

- قاد حملة ناجحة إلى السودان الغربي حملة تمبكتو 1591م، مما بسط النفوذ المغربي على طرق التجارة الصحراوية ومصادر الذهب في النيجر.
- عمل على تقوية الاقتصاد من خلال الانفتاح التجاري، خاصة مع أوروبا، وأشرف على تنظيم إنتاج السكر، واستفاد من المعادن والثروات التي جلبها من الجنوب.
- أشرف على بناء معالم حضارية كقصر البديع في مراكش، الذي يُعدّ من روائع الفن الإسلامي المغربي.
- شجع العلماء والفقهاء، وكان له اهتمام بالمعرفة والكتب، مما ساعد على ازدهار الحياة الفكرية في عهده امتاز بأسلوب بلاغي فخم، وربط التاريخ بالأدب والدعاية السياسية، مما جعله نموذج "الأديب المخزني[1]."

المؤلفات:

- ✓ لم يكتب مؤلفات بنفسه، لكن رعى مؤلفات كبرى وأشرف على مشاريع فكرية، مثل دعم مناهل الصفا للفشتالي.
- ✓ وجّه مؤرخين وكتابًا مثل ابن القاضي والفشتالي لتدوين تاريخ دولته.

6- محمد بابا التنبكتي (963هـ/1556م):

هو ابو العباس احمد بابا بن احمد بن عمر بن محمد بن اقيت بن عمر علي بن يحي بن كدالة بن مكي بن نيق بن يحي بن تشت بن تنفر بن حيراي بن النجر

[1] الفشتالي، مناهل الصفا، تحقيق حسن الوزاني، أكاديمية المملكة المغربية، 2001.

بن ابي بكر بن عمر الصنهاجي المناسي السوداني التكروري التنبكتي ،ولد ونشا في تنبكتو عام 963هـ(1556م) في أسرة من بني اقيت المسوفين المعروفين بانتسابهم الى العلم تلقى التنبكتي تعليمه على يد والده وخلال الحملة العسكرية التي قادها المغربي محمد بن زوقون، قبض على التنبكتي وحمل الى مراكش سجينا تنب[1] اين رجع الى موطن بالسودان الغربي بعد وفاة المنصور وعلى الرغم من شدة المحن التي ابتلى بها الكاتب في هذه السنوات المراكشية كانت من اغنى فترات حياته عطاء وشهرة.

اهم ما تميز به :

- ✓ اسهم في التأليف والتعليم والافتاء.
- ✓ قام بتدريس اشهر العلماء في تلك الفترة امثال ابن القاضي صاحب جذوة الاقتباس ومحمد بن يعقوب واحمد المقري صاحب روضة الاس.

المؤلفات :

- ✓ المقصد في شرح على المختصر خليل
- ✓ حاشية من الخليل على مهمات تحرير الشيخ خليل[2]
- ✓ نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج

خاتمة الفصل:

[1] نيل الابتهاج بتطريز الديباج لأحمد التنبكتي، ط 2، ص13.

[2] حجي، المرجع السابق، ص 51.

من خلال ما سبق يتضح أن أشهر الأعلام الذين برزوا خلال العهد السعدي الأول لم يكونوا مجرد شخصيات معزولة عن سياقهم، بل كانوا جزءاً أساسياً من مشروع الدولة السعدية في سعيها لتحقيق الاستقرار السياسي، وتعزيز الهوية الدينية، والنهوض بالحياة الفكرية. وقد تنوعت أدوارهم بين التأريخ للأحداث الكبرى، وتثبيت شرعية الحكم عبر الخطاب الديني، وتطوير أنماط جديدة من الإنتاج العلمي والمعرفي في سياق مغربي متقلب.

كما تكشف دراسة هذه الشخصيات عن حيوية المشهد الثقافي والسياسي المغربي رغم التحديات الكبرى، مما يدل على قدرة المجتمع المغربي على إنتاج نخب فاعلة ومؤثرة في اللحظات الحرجة من تاريخه. ومن هنا، فإن استقراء سِيَر هؤلاء الأعلام ومساهماتهم يشكل مدخلاً أساسياً لفهم تطور بنية الدولة والمجتمع في المغرب خلال العصر الحديث المبكر.

وتبقى الحاجة ملحّة إلى المزيد من الدراسات المتخصصة التي تعنى بسير هؤلاء الأعلام في ضوء المناهج الحديثة، قصد استكمال بناء صورة أشمل عن مكانتهم وإسهاماتهم، وربطها بحركة التحولات الكبرى التي عرفها العالم المتوسطي آنذاك.

خاتمـــــــــــة

يتضح من خلال استقراء الحياة العلمية خلال العهد السعدي الأول، وخصوصًا في فترة حكم السلطان أحمد المنصور الذهبي، أن المغرب شهد طفرة نوعية في مختلف مجالات المعرفة والفكر، تجلت في ازدهار المؤسسات التعليمية، وتكاثر النخب العلمية، وتنامي الإنتاج الفكري والديني. فقد حظيت العلوم الشرعية بمكانة مركزية، إلى جانب تطور ملموس في مجالات الطب، والفلك، والحساب، والأدب. كما ساهم الانفتاح على المراكز العلمية في المشرق والأندلس، وكذا العلاقات المتنامية مع السودان الغربي، في إثراء المشهد المعرفي المغربي.

وقد اتسمت علاقة الدولة السعدية بالنخبة العلمية بالتقدير والدعم، حيث اعتمد السلاطين، وخاصة المنصور الذهبي، على العلماء في تعزيز الشرعية السياسية وترسيخ السلطة، مما وفر بيئة ملائمة لنمو الحركة الفكرية. كما أن تأسيس الزوايا، وإحياء دور المدارس والرباطات، وتوفير شروط الطباعة والنسخ، ساهم بشكل كبير في حفظ واستمرار التراث العلمي.

إلا أن هذا الازدهار لم يخلُ من بعض المحدوديات، إذ بقي في معظمه مرتبطًا بالإطار التقليدي للمعارف الإسلامية، ولم يواكب بشكل كافٍ التحولات العلمية التي كانت تعرفها أوروبا آنذاك. ومع ذلك، تبقى هذه المرحلة من أغنى الفترات في تاريخ المغرب العلمي، ومثّلت حلقة وصل بين إرث حضاري عريق، وتحولات سياسية وثقافية كبرى ستطبع العهد السعدي وما بعده.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر:

1. ابن خلدون عبد الرحمان ،المقدمة ، ج6، دار الفكر ،1431هـ_2000م
2. الأفراني محمد الصغير، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، تحقيق عبد اللطيف الشادلي، ط1، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، 1998.
3. الأمين، عبد الله، تاريخ المغرب العلمي، (د.ط).
4. بن القاضي أحمد ، جذوة الاقتباس، تحقيق محمد بن شريفة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983.
5. التنبكتي أحمد بابا ، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. 2، 2007.
6. عبد العزيز الفشتالي، مناهل الصفا، تحقيق حسن الوزاني، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 2001
7. الفشتالي، مناهل الصفا، تحقيق حسن الوزاني، أكاديمية المملكة المغربية، 2001.
8. مجهول تاريخ الدولة السعدية التكمدارتية، تج : عبد الرحيم بن حادة ، ط1، دار الكتاب ، المغرب 1994م
9. الناصري احمد، الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى ، دار الكتاب،ج5،(دون تاريخ).
10. الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري، دار الكتاب، الرباط، ج.5.

11. اليفرني، كما ورد في: السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري، دار الكتاب، الرباط، ج 6.

المراجع:

1. ابن زيدان، عبد الرحمن، الإتحاف أعلام الناس بتاريخ المغرب، المطبعة الملكية، الرباط، الجزء 2.
2. بن عزوز حكيم محمد. المساجد في المغرب الأقصى. تطوان: المطبعة المهدية، 1995.
3. التازي عبد الهادي ، جامع القرويين، منشورات وزارة الأوقاف، الرباط، 1983
4. الجراري عبد الله ، من أعلام الفكر المغربي في عهد السعديين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993.
5. جورج مارسيه، ، فن العمارة الإسلامية في المغرب، ترجمة عبد المجيد بن جلون، الرباط.
6. الحجوي الثعالبي، الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، دار الفكر، بيروت، 1978، ج.1.
7. حجي محمد ، الحياة الثقافية في المغرب في عهد السعديين.
8. حجي محمد ، الحياة الثقافية في المغرب في عهد السعديين، الدار البيضاء، مطبعة النجاح، 1990.
9. حجي محمد ، الحياة السياسية في المغرب في عهد الدولة السعدية، منشورات كلية الآداب بالرباط، 1982.

10. حجي محمد ، الزاوية الدلائية و دورها الديني و العلمي و السياسي، المطبعة الوطنية، الرباط ، 1964.

11. حجي، محمد، الحياة الثقافية بالمغرب في عهد السعديين، الجزء1، 1976.

12. حركات، محمد، الفكر الإسلامي في المغرب، 1985.

13. حسن، عبد الله، التأثير المغربي في السودان، 1963.

14. الزرهوني، أحمد. المؤسسات التعليمية في المغرب الوسيط. الدار البيضاء: إفريقيا الشرق، 2008.

15. السيد، عبد الهادي، أثر التصوف في المجتمع المغربي، 1996.

16. الشابي، عبد المجيد. تاريخ التربية والتعليم في المغرب. منشورات كلية الآداب، الرباط، 2009.

17. الشبيطي، محمد، تاريخ الزمان، 1963.

18. شوقي ضيف، عصر الدول والإمارات: الجزائر – المغرب الأقصى– موريتانيا – السودان القاهرة: دار المعارف،1995.

19. شوقي، أحمد، الأدب في المغرب الإسلامي، 2011.

20. الطاهري، محمد، المغرب في عهد السعديين، مركز الدراسات التاريخية، تطوان، 2001.

21. عثمان عثمان اسماعيل ، العمارة الاسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الاقصى ،ج5 عصر الاشراف السعدين والعلوين.

22. العربي محمد ، زبيري، مدخل الى تاريخ المغرب العربي الحديث.

23. العربي، محمد، التعليم في المغرب خلال العصر السعدي، (د.ت)، الجزء 1.

24. العيمي، عبد الهادي، تاريخ التعليم والثقافة بالمغرب، الجزء 6، 1994.
25. الغرب، عبد الله، الحركة العلمية في السودان وتأثير المغرب عليها، (د.ط)، الجزء 1.
26. الفاسي، عبد الهادي، جامعة القرويين: أدوارها العلمية والإصلاحية، منشورات كلية الآداب، فاس، 1992.
27. قومار، الحسين، الحركات الصوفية في المغرب الأقصى.
28. كربوع، عبد السلام، الفكر الديني في المغرب السعدي.
29. كريم عبد الكريم ، كتاب المغرب في عهد الدولة السعدية، ط3، 2006.
30. الكعاك، عثمان، العلوم الإسلامية في المغرب الإسلامي، الجزء 2.
31. كنون عبد الله ، النبوغ المغربي في الأدب العربي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1961.
32. محمد السيد محمد أبو رحاب، العمائر الدينية و الجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين، ط1، دار القاهرة ،2008.
33. المساتي عادل ، سوسيولوجيا الدولة بالمغرب إسهام جاك بيرك، تقديم، أحمد بوجداد، الرباط: سلسلة المعرفة الاجتماعية السياسية، 2010.
34. المنوني محمد ، النهضة العلمية في المغرب في عهد السعديين.
35. المنوني، محمد. الحياة الثقافية في المغرب. دار الغرب الإسلامي، 2004
36. المنوني، محمد. الحياة العلمية في المغرب في العصر الحديث. الرباط: دار النشر المغربية، 1997.
37. الوريالي، إبراهيم، حوادث الدولة السعدية، ت. 1637م / 1047هـ.

38. الياسري، محمد، التصوف السياسي في المغرب الإسلامي.

المقالات

1. الإدريسي، محمد، التعليم والمعمار في المغرب السعدي، منشورات وزارة الثقافة، 2015.

2. بوسليم صالح , جعني زينب ، الواقع السياسي للمغرب الأقصى خلال العصر السعدي الأول 1509-1603 مجلة روافد والدرسات، مخبر للبحث في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة غرداية، المجلد 07، العدد 02، 2022.

3. حجي محمد ، الحركة الفكرية، ج 2.

4. المازوني محمد ، زاوية تمصلوحت خلال القرن السادس عشر، مجلة كلية الآداب و العلوم الإنسانية، العدد8، مطبعة إدويسعدن، مراكش ،1992.

المذكرات الجامعية:

1. بن خروف عمار ، مذكرة لنيل درجة الماجستر في التاريخ ، العلاقات بين الجزائر والمغرب 963-1069هـ/1517-1659م.

2. حركات ابراهيم ، المغرب عبر التاريخ عرض لأحداث المغرب وتطوراته في الميادين السياسية والدينية والاجتماعية والعمرانية والفكرية منذ ما قبل الإسلام إلى العصر الحاضر ق 14هـ/20م، المجلد الثاني من بداية المرنيين إلى نهاية السعديين (الدار البيضاء: دار الرشاد الحديثة، دون تاريخ).

3. الحسناوي محمود عاشور عبيد ، موقف الدولة السعدية من مسلمي الاندلس بعد سقوط غرناطة 106_916/1659_1510، مجلس كلية الادب _جامعة ذي وقار وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستر في التاريخ الاسلامي.

4. شرع سعيدة ، عائشة معروفي، شريفة رمضاني، الحياة الثقافية في المغرب الأقصى خلال عهد السعديين القرنيين 15-16م، ماستر في التاريخ،كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة عمار ثليجي الأغواط، قسم العلوم الانسانية، الجزائر :الأغواط، 2015-2016.

5. عبد الله طويلب ، المؤسسات العلمية المرنية والسعدية _دراسة ثقافية أطروحة دكتورة في التاريخ ، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية ، جامعة ابي بكر بلقايد _تلمسان_ قسم التاريخ 1437_1438\2017_2018م .

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات	رقم الصفحة
الاهداء و الشكر	I–II
مقدمة	أ– ز
الفصل الأول: الوضع السياسي في مغرب الأقصى خلال العهد السعدي الأول 1578– 1603م	
مقدمة الفصل	02
1– الوضع السياسي للمغرب الأقصى قبيل العهد السعدي	03
2– أصل السعديين و موطنهم	05
3– ظروف قيام الدولة السعدية	06
4– قيام الدولة السعدية	08
4–1 المغرب الأقصى في عهد أحمد المنصور	10
4–2 عوامل ضعف وسقوط الدولة السعدية	13
5–علاقة السعديون بالسودان الغربي وأثرها الثقافي	16
5–1–أثرها على بلاد المغرب	17
5–2–أثرها على بلاد السودان	19
خاتمة الفصل	22
الفصل الثاني: المؤسسات الثقافية والعلمية في الفترة 1578–1603	
مقدمة الفصل	24
1– المؤسسات التعليمية خلال العهد السعدي	25
1–1– الكتاتيب (المسيد)	25
1–2– المساجد ودورها التعليمي	25
1–2–1–الجامع الكبير بتارودانت	26
1–2–2–جامع المواسين بمراكش	27
1–2–3–جامع الفنا	29

1-3-الزوايا	29
1-3-1-الزاوية الجزولية بمراكش	29
1-3-2- زاوية أبي البركات تيدسي	30
1-3-3- زاوية تمصلحوت	30
1-3-4- زاوية سيدي علي	31
1-4-المدارس	32
1-4-1-مدرسة ابن يوسف بمراكش (الغالبية)	32
1-4-2-مدرسة جامع باب دكالة بمراكش	32
1-4-3-مدرسة جامع الأشراف بمراكش	33
1-4-4-مدرسة جامع أبي العباس السبتي	33
2- مراحل التعليم	34
2-1- التعليم الأولي (الكتّاب القرآني)	34
2-2- التعليم المتوسط: الزوايا والمساجد	35
2-3- التعليم العالي: جامعة القرويين	35
3- الحواضر العلمية الكبرى	36
3-1- فاس	37
3-2-مراكش	38
4-آثر الحياة العلمية	39
4-1-المراكز العلمية ومؤسسات التعليم	39
4-2-العلماء والدور الديني والسياسي	40
4-3-العلوم النقلية	41
4-3-1- الفقه	41
4-3-2-التصوف	43

4-3-3- التاريخ	45
4-3-4- الأدب	47
خاتمة الفصل	50
الفصل الثالث:أشهر الأعلام في العهد السعديين 1578-1603	
مقدمة الفصل	52
1- أبو العباس أحمد بن القاضي 1552-1616م	53
2- عبد الرحمن المجذوب 1506-1569م	54
3- أبو الحسن علي بن محمد القلهادي ت. بعد 1600م	55
4-عبد العزيز بن محمد الفشتالي ت. 1621م	56
5- السلطان أبو العباس أحمد المنصور الذهبي 1549-1603م	58
6- محمد بابا التنبكتي963هـ/1556م	60
خاتمة الفصل	61
خاتمة	63
قائمة المصادر و المراجع	65
الفهرس	72
ملخص	75
الملاحق	76

الملخص:

يتناول هذا البحث الحياة العلمية في العهد السعدي الأول (1578–1603م)، من خلال دراسة السياق السياسي الذي وفّر بيئة ملائمة لازدهار الثقافة والتعليم، خصوصًا في عهد السلطان أحمد المنصور الذهبي. كما يستعرض البحث تطور المؤسسات التعليمية، ومراكز العلم، وأشكال المعرفة المتداولة آنذاك، إلى جانب التعريف بأهم العلماء والأدباء الذين نشطوا في هذه المرحلة. ويُبرز البحث الدور الكبير الذي لعبه السعديون في ربط المغرب بالمراكز العلمية في السودان الغربي وتأثير ذلك على الحراك الثقافي والمعرفي في المنطقة.

الكلمات المفتاحية: السعديون، الحياة العلمية، أحمد المنصور الذهبي، المغرب الأقصى، السودان الغربي، القرن 16م.

Summary:

This research examines scholarly life during the first Saadian era (1578–1603 CE), examining the political context that provided a favorable environment for the flourishing of culture and education, particularly during the reign of Sultan Ahmed al-Mansur al-Dhahabi. The research also reviews the development of educational institutions, centers of learning, and forms of knowledge circulating at the time, along with identifying the most prominent scholars and writers active during this period. The research highlights the significant role played by the Saadians in connecting Morocco with the scholarly centers of Western Sudan and the impact this had on the cultural and intellectual movement in the region.

Keywords: Saadians, scholarly life, Ahmed al-Mansur al-Dhahabi, Morocco, Western Sudan, 16th century CE.

الملحق رقم 01: الجامع الكبير بتارودانت

1

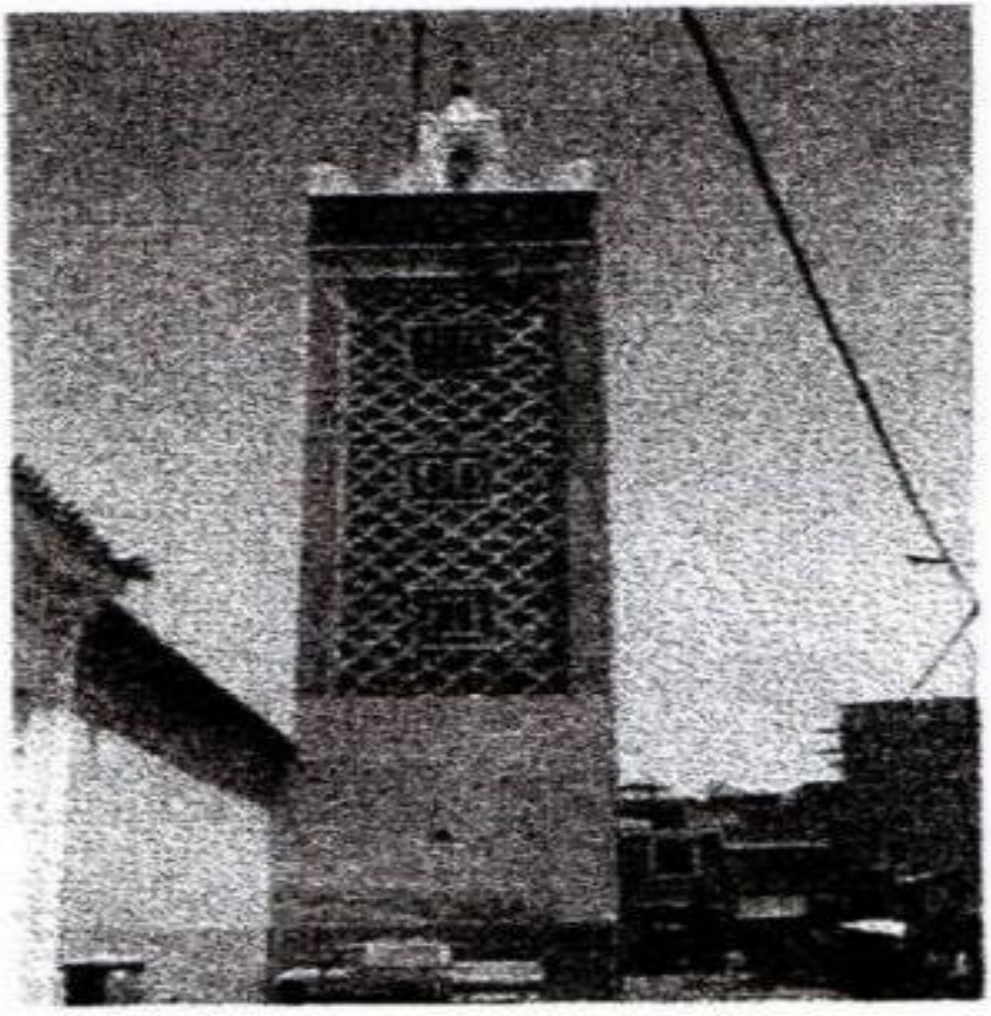

[111] طوليب عبدالله المؤسسات العلمية المرنية والسعدية _دراسة ثقافية_أطروحة دكتورة في التاريخ ، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية ، جامعة ابي بكر بلقايد _تلمسان_ قسم التاريخ 1437_1438\2017_2018م،ص 676.

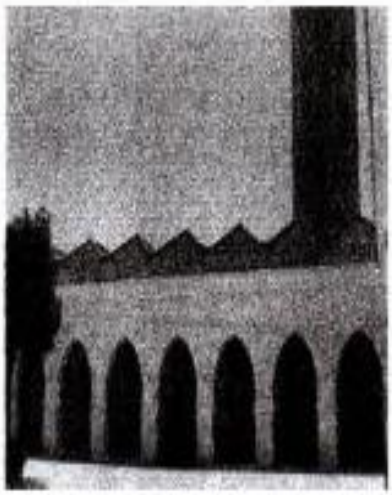

1

[1] طوليب عبدالله،المرجع، ،نفس السابق الصفحة.

الملحق رقم02: الزاوية الجازولية بمراكش

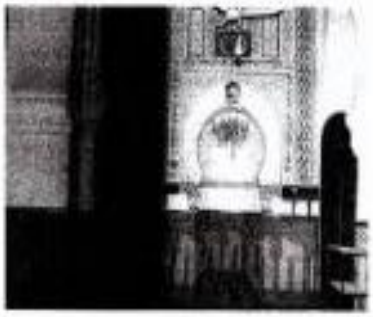

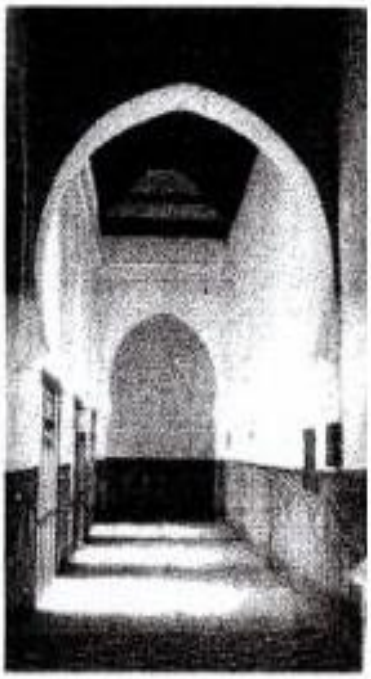

[1] طوليب عبدالله،المرجع السابق،ص 620.

الملحق رقم 03: المغرب الأقصى في العهد السعدي

[1]

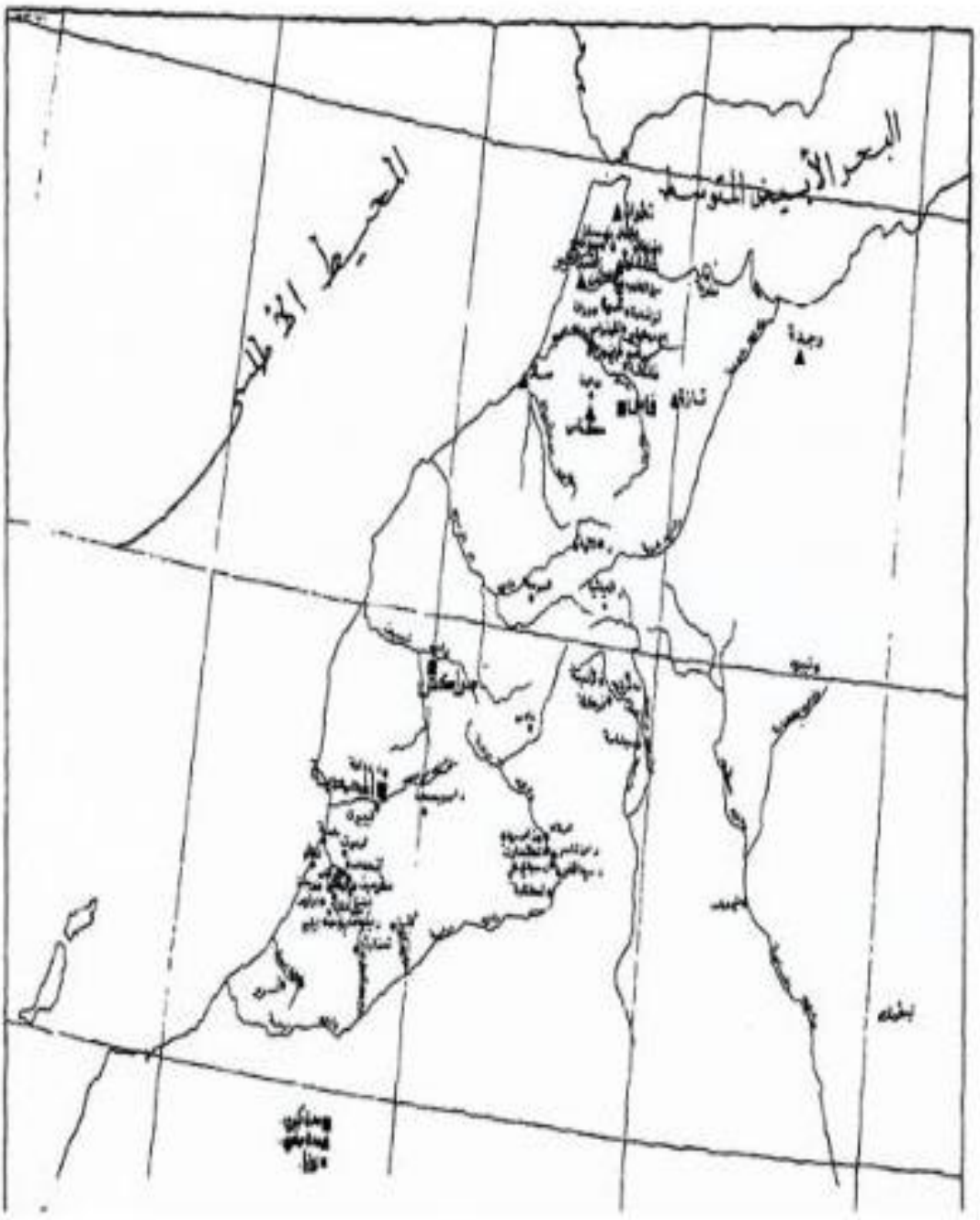

[1] طوليب عبدالله،المرجع السابق،ص 187.